يسير الوقفات

مع

آية من الآيات

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ١

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢]

جاءت هذه الآية في سياق الرد على اليهود والنصارى في ادعائهم أنه لا يدخل الجنة غيرهم.

فبيّن تَعَالَى اغْتِرَارَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمَا هُمْ فِيهِ، حَيْثُ ادَّعَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهَا، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ.

وَلَوْ كَانُوا كَمَا ادَّعَوْا، لَمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَكَمَا تَقَدَّمَ مِنْ دَعْوَاهُمْ، أَنَّهُ لَنْ تَمَسَّهُمُ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، وَهَكَذَا قَالَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى الَّتِي ادَّعَوْهَا بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ وَلَا بَيِّنَةٍ، فَقَالَ: تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: أَمَانِيُّ تَمَنَّوْهَا عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ

فقال الله تعالى رادا عليهم : :﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾، و"بلى" إقرار في كل كلام في أوله جحد، كما أن نعم" إقرار في الاستفهام الذي لا جحد فيه.

وقيل أصل " بلى" :"بل" التي هي رجوع عن الجحد المحض، ومن هنا فلو سُئل سائلٌ ذهب إلى المسجد: ما ذهبت إلى المسجد؟ فيكون جوابه: بلى، فلو أجاب بـــ "نعم" لكان نفيا لذهابه لا إثباتا. وأما لو سئل بغير صيغة جحد في أول السؤال، لكان الجواب بـ "نعم" صوابا، نحو : هل ذهبت المسجد، فيقول: نعم.

وقال في الآية: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ . وَمَعْنَى أَسْلَمَ: اسْتَسْلَمَ وَقِيلَ: أَخْلَصَ.

أَيْ مَنْ أَخْلَصَ الْعَمَلَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾،

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾، أَيْ مَنْ أَخْلَصَ الْعَمَلَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ ﴾، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ. يَقُولُ: مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ.

وذكر سبحانه الوجه في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾؛ لأن أكرم أعضاء ابن آدم وأشرف جوارحه وجهه، وهو أعظمها عليه حرمة وحقا، فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له، والوجه فيه يظهر الْعِزُّ وَالذُّلُّ، وَقِيلَ: إِنَّ الْعَرَبَ تُخْبِرُ بِالْوَجْهِ عَنْ جُمْلَةِ الشَّيْءِ، وَأَنَّ الْمَعْنَى هُنَا: الْوَجْهُ وغيره"

وقوله تعالى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: وَهُوَ مُحْسِنٌ أي اتبع فِيهِ الرَّسُولَ ﷺ.

وقوله تعالى :﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ هذا جزاء من أحسن وجهه فأخلص لله تعالى واتبع النبي ﷺ، فإن له أجرا عظيما عند الله.

والعندية في قوله ﴿عند ربه﴾ لها فائدتان:

الفائدة الأولى: أنه عظيم؛ لأن المضاف إلى العظيم عظيم؛ ولهذا جاء في حديث أبي بكر الذي علمه الرسولُ ﷺ إياه أنه قال: "فاغفر لي مغفرة من عندك".

والفائدة الثانية: أن هذا محفوظ غاية الحفظ، ولن يضيع؛ لأنك لا يمكن أن تجد أحداً أحفظ من الله؛ إذاً فلن يضيع هذا العمل؛ لأنه في أمان غاية الأمان.

وقال: ﴿عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ فأضافه إلى وصف الربوبية ليبين كمال عناية الله بالعامل، وإثابته عليه؛ فالربوبية هنا من الربوبية الخاصة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي فيما يستقبل من أمرهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي فيما مضى من أمرهم.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonetUAE

يسير الوقفات مع آية من الآيات ٢

الآية الثانية:

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ ﴾ هذه الآية جاءت بعد الكلام عن فرضية الصيام وبيان بعض أحكامه. وسبب نزولها : قيل نزلت في سائل سأل النبي ﷺ فقال: يا محمد، أقريبٌ ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ ﴾الآية.

وجاء عن عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ أنهم قالوا: لو علمنا أيَّ ساعة نَدْعو! فنزلت:"وإذا سَأَلكَ عِبَادي عَنّي فإني قريب" الآية.

وقوله ﴿ سَأَلَكَ عِبَادِي ﴾ الدعاء دعاءان : دعاء مسألة ودعاء عبادة.

أما دعاء المسألة فهو دعاء الطلب أي طلب الحاجات كقول القائل ﴿يا رحمن ارحمني».

وأما دعاء العبادة هو التعبد لله بالعبادة طلبا للثواب وخوفا من العقاب. كمن يتصدق يرجو الثواب من الله، فلسان حاله هو الدعاء. والأول هو لسان مقاله.

«وهنا قاعدة وهو : أن كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين، يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة» انتهى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ :" قيل : أُعطيه إذا سألني، وقيل : أُثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ؛ بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً .فتأمَّله ؛ فإنّه موضوعٌ عظيمُ النّفع، وقلَّ ما يُفطن له، وأكثرآيات القرآن دالَّةٌ على معنيين فصاعداً، فهي من هذا القبيل".

وقوله ﴿ فإني قريب ﴾ القرب قرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.

فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة.

قوله : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ؛ أي استجيب دعاءه.

وهنا سؤال: وهو أننا نرى كثيرًا من البشر يدعون الله فلا يجابُ لهم دُعاء، وقد قال:"أجيبُ دَعوة الداع إذا دَعان"؟ والجواب : قيل: إن لذلك وجهين من المعنى: أحدهما: أن يكون معنيًّا"بالدعوة"، العملُ بما حث الله عليه فيكون المعنى : وإذا سألك عبادي عَني فإني قريبٌ ممن أطاعني وعَمل بما أمرته به، أجيبه بالثواب على طاعته إياي إذا أطاعني. وقد جاء تفسير الدعاء بالعمل بالطاعة عن الحسن وغيره.

وقيل لمعنى خاص: : والمعانى يكون: أجيب دعوة الداعي إِنْ شِئْتُ كَمَا قَالَ: ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ﴾، أو أجيب دَعْوَةَ الدَّاعِي إِنْ وَافَقَ الْقَضَاءَ، أَوْ أُجِيبُهُ إِنْ كَانَتِ الْإِجَابَةُ خَيْرًا لَهُ، أَوْ أُجِيبُهُ إِنْ لَمْ يَسْأَلْ مُحَالًا.

وقوله: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ فليستجيبوا لي بالطاعة. وقيل فليجيبوا لي بالطاعة والامتثال للأوامر والاجتناب للنواهي. فإن الاستجابه بمعنى الإجابة كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾.

قوله: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ أي وليؤمنوا بأني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ «الرشد» يطلق على معانٍ؛ منها: حُسن التصرف، كما في قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾؛ ولا شك أن من آمن بالله، واستجاب له فإنه أحسن الناس تصرفاً، ويوفّق، ويُهدى، وتُيسر له الأمور.

من فوائد الآية:

١- أن الصيام مظنة إجابة الدّعاء؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية في أثناء آيات الصيام.

٢- رأفة الله عز وجل بعباده؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي ﴾، حيث أضافهم إلى نفسه تشريفاً، وتعطفاً عليهم.

٣- إثبات قرب الله سبحانه وتعالى من عباده.

٤- إثبات كرم الله؛ لقوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾.

٥- الحرص على الدعاء لله تعالى، وأن الله مستجيب لعباده قريب منهم.

٦- أن الدعاء على نوعين دعاء مسألة ودعاء عبادة.

٧- أن من شرط إجابة الدعاء أن يكون الداعي صادق الدعوة في دعائه الله عز وجل، بحيث يكون مخلصاً مستشعراً لحاجته وافتقاره لربه.

٨- أن الله تعالى يجيب دعوة الداع إذا دعاه؛ ولا يلزم من ذلك أن يجيب مسألته؛ لأنه تعالى قد يؤخر إجابة المسألة ليزداد الداعي تضرعاً إلى الله، وإلحاحاً في الدعاء؛ فيقوى بذلك إيمانه، ويزداد ثوابه؛ أو يدخره له يوم القيامة؛ أو يدفع عنه من السوء ما هو أعظم فائدة للداعي.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonatUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ٣

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

قال ابن مسعود ﷺ: «إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فأرعها سَمْعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه».

وقد صُدّرت الآية بالنداء وتصدير الخطاب بالنداء يدل على أهمية المطلوب؛ لأن النداء يقتضي التنبيه؛ ولا يكون التنبيه إلا في الأمور الهامة. وتوجيه النداء للمؤمنين يدل على أن التزام ما ذكر من مقتضيات الإيمان؛ سواء كان أمراً، أو نهياً؛ وعلى أن عدم امتثاله نقص في الإيمان.

قوله: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا، ففي الآية حث على الصدقات، والإنفاق في وجوه الطاعات.

وفي الآية التحذير مِنَ الْإِمْسَاكِ إلى أن يجئ يَوْمٌ لَا يُمْكِنُ فِيهِ بَيْعٌ وَلَا شِرَاءٌ وَلَا اسْتِدْرَاكُ نَفَقَةٍ، كَمَا قَالَ سبحانه: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ ﴾.

وهذا من لطف الله بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله، من صدقة واجبة ومستحبة، ليكون لهم ذخرا وأجرا موفرا في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير.

قوله: ﴿مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ بيان أنه سبحانه الرازق المتكفل بعباده في رزقهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ ﴾ عبّر بالبيع لأن عادة الإنسان أن ينتفع بالشيء عن طريق البيع، والشراء؛ فيشتري ما ينفعه، ويبيع ما يضره؛ لكن يوم القيامة ليس فيه بيع، فالمعنى أن العبد ينفق في هذه الدنيا، قبل يوم القيامة الذي لَا يَتَبَايَعُ النَّاسُ فِيهِ.

وقيل المعنى: لَا فديَة فِيهِ، وسماها بيعا، لِأَن فِي الْفِدْيَة شِرَاء نَفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا خُلَّةٞ ﴾ الْخُلَّةُ: خَالِصُ الْمَوَدَّةِ، مَأْخُوذَةٌ مِنْ تَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ. وَالْخِلَالَةُ وَالْخَلَالَةُ وَالْخُلَالَةُ: الصَّدَاقَةُ وَالْمَوَدَّةُ. ومنه قول الشاعر:

قد تخللتِ مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلاً

فيوم القيامة لا مخالة فيه نافعة كما كانت في الدنيا، فإن خليل الرجل في الدنيا قد كان ينفعه فيها بالنصرة له على من حاوله بمكروه وأراده بسوء، والمظاهرة له على ذلك. فآيسهم تعالى ذكره أيضا من ذلك، لأنه لا أحد يوم القيامة ينصر أحدا من الله، بل ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾ أي لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في الدنيا، فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخلة، وغير ذلك من الأسباب، فبطل ذلك كله يومئذ، كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم في الآخرة إذا صاروا فيها: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴾.

وهنا مسألة وهي: أن ظاهر الآية نفي الشفاعة مطلقاً؛ وهناك نصوص دلّت على وقوع الشفاعة يوم القيامة، فالجمع أن يحمل مطلق هذه الآية على المقيد بالنصوص الأخرى، ويقال؛ إن النصوص الأخرى دلت على أن هناك شفاعة؛ لكن لها ثلاثة شروط: رضى الله عن الشافع؛ وعن المشفوع له؛ وإذنه في الشفاعة.

قوله ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي أن الكافرين بالله هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم، وحصر الظلم فيهم لعظم ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾.

قال عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ولم يقل: والظالمون هم الكافرون».

لأن الإنسان قد يظلم نفسه بالمعاصي ويظلم غيره بالاعتداء عليه قولا أو فعلا.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ٤

الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]

لَمَّا أَخْبَرَ جَلَّ وَتَعَالَى عَنِ الْبَاخِلِينَ وَكُفْرِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾ الْآيَةَ - بَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَنْقَضِي وَلَا يَدُومُ، فَإِنَّ أَمَدَ الدُّنْيَا قَرِيبٌ، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمُ الْجَزَاءِ.

قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

يخبر تعالى إخبارًا عامًا يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾. فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولا.

وفي الآية التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر.

وكما قال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هي الدارُ دارُ الهمِّ والغمِّ و العَنا ... سريعٌ تقضِّيها قريبٌ زوالُها
مياسيرُها عُسْرٌ وحزْنٌ سرورُها ... وأرباحُها خُسْرٌ ونَقْصٌ كمالُها
إذا أضحكَتْ أبكتْ وإنْ رام وصْلَها ... غبيٌّ فيا سُرْعَ انقطاعِ وصالِها

قوله: ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ من الذوق، أي ذائقة طعمه، وَهَذَا مِمَّا لَا مَحِيصَ عَنْهُ لِلْإِنْسَانِ، وَلَا مَحِيدَ عَنْهُ لِحَيَوَانٍ، وقد ورد ذلك في الشعر ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

مَن لَمْ يَمُت غَبْطة يَمُتْ هَرَماً ... المَوت كَأسٌ والمرءُ ذَائِقُـها.

وعبّر بالذوق لأن الذوق يحصل به حق اليقين بالشيء.

قوله ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أجر المؤمن: الثواب، وأجر الكافر: العقاب، أي: أن توفية الأجور، وتكميلها إنما تكون في ذلك اليوم، وما يقع من الأجور في الدنيا، أو في البرزخ، فإنما هو بعض الأجور.

قوله ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ﴾ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ أي نحّي عنها وأبعد. والزحزحة الدفع ببطء، لأن النار محفوفة بالشهوات، والشهوات تميل إليها النفوس، فلا يكاد الإنسان ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة.

قوله: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ظَفِرَ بِمَا يَرْجُو، وَنَجَا مِمَّا يَخَافُ.

قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

سميت الدنيا بذلك لوجهين:

الأول: لدنوّها زمنا، فهي قبل الآخرة

والثاني: لدنوّها قدْرا، لقوله ﷺ: «لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» [أخرجه البخاري]. وسماها سبحانه: "متاع الغرور" لأنها تغرّ صاحبها وتخدعه، ونهى الله عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا مثل مصارعهم، وذم من رضى بها واطمأن إليها.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ٥

الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

سبب نزول الآية: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي؛ إذْ بعثه رسول الله ﷺ في سرية.

وَكَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ دُعَابَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَمِنْ دُعَابَتِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَّرَهُ عَلَى سَرِيَّةٍ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا حَطَبًا وَيُوقِدُوا نَارًا، فَلَمَّا أَوْقَدُوهَا أَمَرَهُمْ بِالتَّقَحُّمِ فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَاعَتِي؟! وَقَالَ: مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي. فَقَالُوا: مَا آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ إِلَّا لِنَنْجُوَ مِنَ النَّارِ! فَصَوَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِعْلَهُمْ وَقَالَ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى».

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ أي أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، وأطيعوا رسوله محمدًا ﷺ، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: هو أمرٌ من الله بطاعة رسوله في حياته فيما أمرَ ونهى، وبعد وفاته باتباع سنته. وذلك أن الله عمّ بالأمر بطاعته، ولم يخصص بذلك في حال دون حال، فهو على العموم حتى يخصّ ذلك ما يجبُ التسليم له.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ أمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله.

ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية. وقد وردت الأحاديث الكثيرة الآمرة بالمسع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية، ومن ذلك:

١- حديث «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

٢- وفي الحديث الآخر، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: «أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا حبشيًا مُجَدَّع الأطراف».

يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يجوز الخروج على الأئمة وإن عصوا بل يجب السمع والطاعة في المعروف مع المناصحة ولا تنزعن يدا من طاعة لقول النبي ﷺ: «على المرء السمع والطاعة في المنشط والمكره وفيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة» . ويقول عليه الصلاة والسلام: «من رأى من أميره شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة فإنه من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم وأن يشق عصاكم فاقتلوه كائنا من كان». والمقصود أن الواجب السمع والطاعة في المعروف لولاة الأمور من الأمراء والعلماء - وبهذا تنتظم الأمور وتصلح الأحوال» اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾.

ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما.

فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة.

الرد إلى الله ورسوله له وجهان:

أحدهما: أن ردّه إلى الله ردّه إلى كتابه، ورده إلى النبي رده إليه في حياته، وإلى سنّته بعد مماته.

والقول الثاني: أن ردّه إلى الله ورسوله أن يقول: من لا يعلم الشيء: الله ورسوله أعلم.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

يسير الوقفات مع آية من الآيات ٦

الآية السادسة:

قال تعالى ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

سبب النزول: قيل: إن ضيفاً تضيّف قوماً فأساؤوا قِراهُ «أي ضيافته» فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصةً في أن يشكوا.

وقيل: " أن رجلاً نال من أبي بكر الصديق والنبيُّ ﷺ حاضر، فسكت عنه أبو بكر مراراً، ثم ردّ عليه، فقام النبي ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت؟! فقال: «إن ملكا كان يجيب عنك، فلما رددت عليه، ذهب الملك، وجاء الشيطان» " فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول، أي: يبغض ذلك ويمقته ويعاقب عليه، ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك فإن ذلك كله من المنهي عنه الذي يبغضه الله. ويدل مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين.

قوله تعالى ﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ قيل المعنى: لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد، إلا أن يكون مظلوما، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، أو يشكوا ذلك إلى الإمام ليأخذ له بحق، وذلك قوله: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ وإن صبر فهو خير له.

وقيل المعنى: يجهر بمظلمته، بأن يقول: فلان ظلمني، أو هو ظالم أو نحو ذلك.

وهل يجوز للعبد أن يرد على من ظلمه في الأقوال بمثل أقواله:

نعم يجوز ذلك، فلو قائل لآخر ظالما له: أنت جبان وسفيه، فيجوز أن يرد عليه بمثل قوله دون زيادة، لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

فائدة لطيفة: سبق معنا أن الآية نَزَلَتْ فِيمَنْ ضَافَ قَوْمًا فَلَمْ يُقْرُوهُ، لِأَنَّ قِرَى الضَّيْفِ وَاجِبٌ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، فَلَمَّا مَنَعُوهُ حَقَّهُ كَانَ لَهُ ذِكْرُ ذَلِكَ، وفي الحديث: «لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أصبح بفناءه فَهُوَ دَيْنٌ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ؛ فإن شاء اقتصاه، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ».

فإذا كان هذا في حق الضيف الذي يمنعوه مضيوفوه ضيافته، فمن باب أولى من يؤخذ منه حقه ظلما وعدوانا.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ لما كانت الآية قد اشتملت على الكلام السيئ والحسن والمباح، أخبر تعالى أنه ﴿سَمِيعًا﴾ فيسمع أقوالكم، فاحذروا أن تتكلموا بما يغضب ربكم فيعاقبكم على ذلك. وفيه أيضا ترغيب على القول الحسن

﴿عَلِيمًا﴾ أي عليم بنياتكم ومصدر أقوالكم.

من فوائد الآية:

١- إثبات صفة المحبة لله تعالى، وهي محبة تليق به سبحانه، ووجه الدلالة في قوله تعالى ﴿لا يحب﴾ فالنفي مخصوص بحال معين، فيكون دليلا على أن ما سوى ذلك تثبت به المحبة.

٢- بغض الله تعالى لبعض الأفعال، ومن ذلك الظلم الواقع بين العباد ولذلك حرّمه سبحانه كما في الحديث القدسي «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا».

٣- المنع من الظلم والاعتداء على الآخرين

٤- عدل الإسلام في انتصار المظلوم وأخذه الحق ممن ظلمه

٥- إكرام الضيف، أو إعطاءه حق الضيف.

٦- أن الدعاء على الظالم جائز، وأفضل منه العفو عند المقدرة.

٧- إثبات اسمي " السميع " و "العليم" لله تعالى.

٨- الحذر من الأقوال السيئة فإن الله سميع لها، يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللهجات وتعدد الحاجات.

٩- إصلاح النيّة فإن الله يعلم النيات صلاحا وفسادا.

١٠- الترغيب في الأقوال والأفعال الطيبة الحسنة.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ٧

الآية السابعة:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]

سياق الآية: الآية في سياق قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وجاءت الآية فصل للقضاء من الله بين إبراهيم خليله ﷺ، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾؟ فقال الله تعالى ذكره ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ لَمْ يَخْلِطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ. وَلُبْسُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ تَغْطِيَتُهُ لَهُ وَإِحَاطَتُهُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ. وقوله تعالى ﴿ بِظُلۡمٍ ﴾ فسّر النبي ﷺ هذه الآية بآية أخرى، فقد جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: "يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

وجاء عن جمع من الصحابة تفسير الآية بالشرك، ومن ذلك ما ورد أن زيد بن صوحان سأل سلمان فقال: يا أبا عبد الله، آيةٌ من كتاب الله قد بلغت منِّي كل مبلغ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ ! فقال سلمان: هو الشرك بالله تعالى.

وقد جاء في القرآن في آيات أخرى بيان أن الكفر والشرك ظلم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

فالآية تتضمن بيان فضل التوحيد وأنه سبب لاستقرار الأمن، فإن الله أثبت الأمن لمن لم يشرك، والذي لم يشرك يكون موحدا؛ فدل على أن من فضائل التوحيد استقرار الأمن.

وهنا مسألة: أليس صاحب المعاصي قد ظلم نفسه؟! فهل يدخل في الآية؟

قال أهل العلم: اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَقُلْ "وَلَمْ يَظْلِمُوا أَنْفُسَهُمْ"، بَلْ قَالَ: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] وَلُبْسُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ تَغْطِيَتُهُ لَهُ وَإِحَاطَتُهُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَلَا يُغَطِّي الْإِيمَانَ وَيُحِيطُ بِهِ وَيَلْبَسُهُ إِلَّا الْكُفْرُ.

فالمعنى أنهم إن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء.

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم.

جاء عن ابن عباس ﴿ : ﴿لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ ﴾ من العذاب، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾: قال: أرشد إلى دين الله.

والاهتداء في الدنيا إلى شرع الله بالعلم والعمل؛ فالاهتداء بالعلم هداية الإرشاد

والاهتداء بالعمل: هداية توفيق، وهم مهتدون في الآخرة إلى الجنة.

من فوائد الآية:

١- خطورة الشرك بالله تعالى وهو: جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته. والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئا من أنواع العبادة.

٢- فضل التوحيد وأنه سبب للأمن والهداية في الدنيا والآخرة.

٣- تسمية الشرك بالظلم.

٤- خطورة الشرك وضرره على العبد في الدنيا والآخرة.

٥- أن الشرك الأكبر يُذهب أصل الإيمان.

٦- من أنواع التفسير تفسير القرآن بالقرآن وهو أعلى مراتب التفسير.

٧- من مصادر تفسير القرآن بالقرآن السنة النبوية.

٨- خطورة المعاصي والذنوب وأن صاحبها وإن لم يخرج عن الإيمان إلا أنه لا يحصل على الأمن التام والهداية التامة، بل ينقص ذلك في حقه.

٩- الحرص على أسباب الأمن والهداية.

١٠- الهداية هدايتان: هداية الدلالة وهي هداية العلم والإرشاد والبيان، وهدية التوفيق: وهي الهداية إلى العمل بالعلم، وهذا لله سبحانه وتعالى وحده.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ٨

الآية الثامنة

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]

سياق الآية: جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فبيّن سبحانه أن من وافى ربَّه يوم القيامة في موقف الحساب، من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعًا، بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله فقال: من جاء بها فله عشر أمثالها.

قوله ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ الذى عليه عامة المفسرين: أن "الحسنة" و"السيئة" يراد بهما النعم والمصائب، ليس المراد مجرد ما يفعله الإنسان باختياره، باعتباره من الحسنات أو السيئات، ولفظ "الحسنات" و"السيئات" في كتاب الله يتناول هذا وهذا.

إِذَا تَدَبَّرَ الْعَبْدُ عَلِمَ أَنَّ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْحَسَنَاتِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، فَشَكَرَ اللَّهَ، فَزَادَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَمَلًا صَالِحًا، وَنِعَمًا يُفِيضُهَا عَلَيْهِ.

وَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الشَّرَّ لَا يَحْصُلُ لَهُ إلَّا مِنْ نَفْسِهِ بِذُنُوبِهِ: اسْتَغْفَرَ وَتَابَ. فَزَالَ عَنْهُ سَبَبُ الشَّرِّ. فَيَكُونُ الْعَبْدُ دَائِمًا شَاكِرًا مُسْتَغْفِرًا. فَلَا يَزَالُ الْخَيْرُ يَتَضَاعَفُ لَهُ، وَالشَّرُّ يَنْدَفِعُ عَنْهُ.

والمعنى في الآية من جاء بالحسنة القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله أو حق خلقه ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ هذا أقل ما يكون من التضعيف.

قوله ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالِهَا.

وَهَذَا فضل من الله – تَعَالَى – حَيْثُ يجازي الْحَسَنَة بِعشر.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فلا تضاعف السيئة، ولذا في حديث أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ».

مسألة: السيئات لا تُضاعف من جهة العدد؛ لا في رمضان، ولا في الحرم، ولا في غيرها، بل السيئة بواحدة دائما، وهذا من فضله سبحانه وتعالى وإحسانه، ولكن سيئة الحرم، وسيئة رمضان، وسيئة عشر ذي الحجة أعظم إثما من السيئة فيما سوى ذلك، فهي تضاعف من جهة الكيفية لا من جهة العدد، أما الحسنات فهي تضاعف كيفية وعددا بفضل الله سبحانه وتعالى.

مسألة: تَارِكُ السَّيِّئَةِ الَّذِي لَا يَعْمَلُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١- تَارَةً يَتْرُكُهَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَهَذَا تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ عَلَى كَفِّهِ عَنْهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا عَمَلٌ ونِيَّة؛ وَلِهَذَا جَاءَ أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ حسنة، كما جاء فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الصَّحِيحِ: «فَإِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي» أَيْ: مِنْ أَجْلِي.

٢- وَتَارَةً يَتْرُكُهَا نِسْيَانًا وذُهولا عَنْهَا، فَهَذَا لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْوِ خَيْرًا وَلَا فَعَلَ شَرًّا.

٣- وَتَارَةً يَتْرُكُهَا عَجْزًا وَكَسَلًا بَعْدَ السَّعْيِ فِي أَسْبَابِهَا وَالتَّلَبُّسِ بِمَا يُقَرِّبُ مِنْهَا، فَهَذَا يَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ فَاعِلِهَا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، فِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».

من فوائد الآية:

١- رحمة الله تعالى بعباده وعنايته بهم.

٢- أن الحسنات تتضاعف إلى عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء.

٣- أن السيئة تكتب سيئة وهذا من كريم إحسانه سبحانه.

٤- من ترك السيئة لله فله بذلك حسنة.

٥- هنالك أماكن وأزمان تتضاعف فيهم السيئات كماً لا عددا كرمضان والحرم.

٦- تنزيه الله عن ظلم عباده. فمن أصابته حسنة فهي من الله تكرما ورحمة، ومن أصابته سيئة فهي من نفسه ويعفو الله عن كثير.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ٩

الآية التاسعة

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]

سبب نزولها: قيل إن رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن، فقال بعض مشركي مكة: إن محمدا ﷺ وأصحابه يدّعون أنهم يعبدون ربا واحدا، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾.

قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن.

وضابط الأسماء الحسنى: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها، فكلّ اسم منها دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها.

والحسنى تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى، وهي البالغة في الحسن غايته.

قوله تعالى ﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ من تمام كونها "حسنى" أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: ﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا اللّهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم.

قوله تعالى ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ هدد تعالى في هذه الآية الذين يلحدون في أسمائه بتهديدين:

الأول: صيغة الأمر في قوله: ﴿ وَذَرُوا۟ ﴾ فإنها للتهديد.

والثاني: في قوله: ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، وهو أنواع:

١- إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لآلهتهم، كاشتقاقهم اسم اللات من اسم الله، واسم العزى من اسم العزيز.

٢- وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله.

٣- وإما أن يشبه بها غيرها بأن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين.

٤- أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: «الأب».

فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، ويحذر الملحدون فيها.

﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: عقوبة وعذابا على إلحادهم في أسمائه.

من فوائد الآية:

١- دعاء الله تعالى وحده.

٢- الدعاء له سبحانه بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى.

٣- أسماء الله تعالى توقيفية، فلا تثبت بالعقل بل تثبت بالنص ويدلّ على هذا قوله ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فهي أسماء معلومة وهي حسنى، ولا يكون معرفة ذلك إلا بالوقوف على النصوص الواردة فيها.

٤- دعاء الله بالأسماء الحسنى بنوعي الدعاء "دعاء مسألة ودعاء عبادة".

٥- الأمر بترك من يخوضون في آيات الله بالباطل، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٦- الألحاد في أسماء الله تعالى أنواع كلها محرمة.

٧- استحقاق العذاب لمن خالف إثبات الأسماء الحسنى والصفات الإلهية كما أراد الله تعالى.

٨- وجوب مفارقة فعل المشركين وفعل الملحدين في مواقفهم المخالفة من الأسماء الحسنى، وكذلك غيرها من مسائل الاعتقاد.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ١٠

الآية العاشرة

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١]

سياق الآية: بعد أن ذكر الله أن المنافقين بعضهم أولياء بعض؛ ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين.

قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ أي: ذكورهم وإناثهم من أهل الإيمان،ولابد في الإيمان مِنْ قَوْلٍ بِاللِّسَانِ ، وَاعْتِقَادٍ بِالْجَنَانِ ، وَعَمَلٍ بِالْأَرْكَانِ ، فَإِذَا اخْتَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا .

قال أبو عمر بن عبدالبر المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ :«أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعرصية». وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ :«وأنَّ الإيمانَ قَولٌ باللِّسانِ، وإخلاصٌ بالقلب، وعَمَلٌ بالجوارِح، يَزيد بزيادَة الأعمالِ، ويَنقُصُ بنَقْصِها، فيكون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولا يَكْمُلُ قَولُ الإيمانِ إلاَّ بالعمل، ولا قَولٌ وعَمَلٌ إلاَّ بنِيَّة، ولا قولٌ وعَمَلٌ ونِيَّةٌ إلاَّ بمُوَافَقَة السُّنَّة».

قوله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ في المحبة والموالاة، والانتماء والنصرة، وقد جاء بيان أمر الولاية في القرآن بصيغ مختلفة، ومن ذلك:

١- بيان أن الله هو ولي المؤمنين ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾

٢- في آية أخرى بانه وليهم وأن رسول الله ﷺ وليهم وأن بعضهم أولياء بعض وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

٣- وقال : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾

٤- وصرح في موضع آخر بخصوص هذه الولاية للمسلمين دون الكافرين فقال تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ .:

٥- وصرح في موضع آخر بأن نبيه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾

٦- وبين في آية البقرة ثمرة ولايته تعالى للمؤمنين ، وهي إخراجه لهم من الظلمات إلى النور بقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾

٧- وبين في موضع آخر أن من ثمرة ولايته إذهاب الخوف والحزن عن أوليائه ، وبين أن ولايتهم له تعالى بإيمانهم وتقواهم وذلك في قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾

٨- وصرح في موضع آخر أنه تعالى ولي نبيه ﷺ وأنه أيضاً يتولى الصالحين وهو قوله تعالى :﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

قوله ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ المعروف: اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة.

والمنكر هو: كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

وجاء عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ مَا ذَكَرَ الله فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ النَّهْيُ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالشَّيَاطِينِ، وهذا من باب التفسير للشيء ببعض أفراد العام. ولا شك أن أعظم المعروف التوحيد، وأعظم المنكر الشرك.

قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الْمَكْتُوبَةَ فِي أَوْقَاتِهَا، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ عِنْدَ مَحَلِّهَا.

قوله: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ فيأتمرون لأمر الله ورسوله، وينتهون عما نهياهم عنه

قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سيرحمهم أي: يدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه.

وقيل : يعجل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم، وغيرها بما يجدونه من حلاوة الإيمان ويذوقونه من طعمه، وانشراح صدورهم للإسلام، إلى غيرذلك من السرور بالإيمان، والعلم والعمل الصالح، بما لا يمكن وصفه.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به.

من فوائد الآية:

١- من أبرز صفات المؤمنين موالاتهم لبعضهم البعض.

٢- يفهم من ذلك عدم موالاة المؤمن لغير المؤمن.

٣- الله تعالى يتولى المؤمنين فهو وليهم.

٤- أن النبي ﷺ كذلك ولي المؤمنين.

٥- أهل الإيمان هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وهذا له مراتب وفقه معروف.

٦- خطورة الشرك وأنه أعظم المنكر

٧- فضل التوحيد وأنه أعظم المعروف.

٨- أهل الإيمان هم أهل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، بل وطاعة الله ورسوله في جميع الأوامر.

٩- رحمة الله بالمؤمنين حيث يعجل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم بما يجدونه من حلاوة الإيمان ويذوقونه من طعمه، وانشراح صدورهم للإسلام، وكذا من رحمته بهم إدخالهم الجنة وإبعادهم عن النار.

١٠- إثبات أسمي العزيز والحكيم، ومنهما نشتق صفتي الحكمة والعزة لله تعالى.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

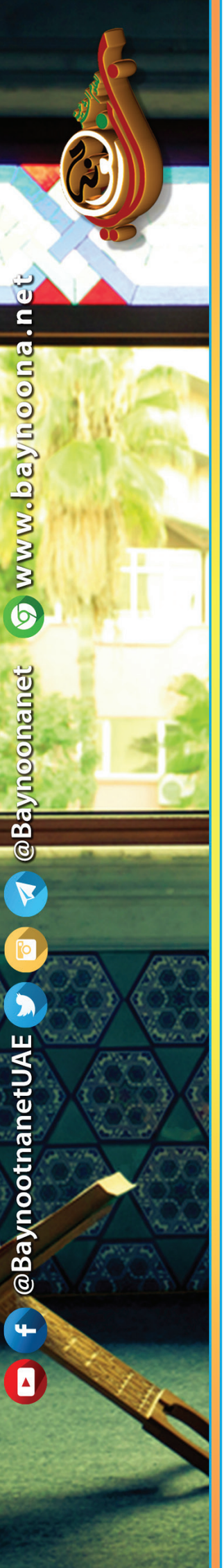

الآية الحادية عشر

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧]

سياق الآية: الآية عامة، وهي في الأصل خطاب لقريش، يقول الله تعالى ممتنا على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم على رسوله الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾.

فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾

الآية في سياق الترغيب للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد، والموعظة : هي التذكرة، تذكركم عقابَ الله وتخوّفكم وعيده، وقيل: زاجر عن الفواحش.

وقيل: الموعظة: قَولٌ على طَرِيق الْعلم يُؤَدِّي إِلَى صَلَاح الْعباد.

وقوله تعالى: ﴿ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ فهو كلام الله سبحانه من بدأ، وليس خلقا من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ الصَّدْر: مَوضِع الْقلب، وَهُوَ أعز مَوضِع فِي الْإِنْسَان؛ لجوار الْقلب.

ومعنى الآية: ودواءٌ لما في الصدور من الجهل، يشفي به الله جهلَ الجهال، فيبرئ به داءهم، ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به.

وقيل: ﴿ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ أي: من الشُبَه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودَنَس.

مسألة: جماع أمراض القلب هى أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين. ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هى عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة، مثل القرآن. فإنه كفيل بذلك كله، متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بيانا. فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه.

فَالْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَأَدْوَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُؤَهَّلُ وَلَا يُوَفَّقُ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِهِ، وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ التَّدَاوِيَ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءِ شُرُوطِهِ، لَمْ يُقَاوِمْهُ الدَّاءُ أَبَدًا.

قوله تعالى: ﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ هدى: بيان لحلال الله وحرامه، ودليلٌ على طاعته ومعصيته. وقيل الهدى: بيان من الضلالة، وَرُشْدًا لِمَن اتَّبَعَهُ.

﴿ وَرَحۡمَةٞ ﴾، يرحم بها من شاء من خلقه، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى، وينجيه به من الهلاك والردى.

وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به، لأن من كفر به فهو عليه عمًى، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلودُ في لظًى.

من فوائد الآية:

١- عناية الله بعباده ورعايته لهم، بإنزال القرآن وتضمينه للمواعظ النافعة لهم.

٢- القرآن كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفاته.

٣- تضمن القرآن لبيان الحلال والحرام والطاعة والمعصية.

٤- القرآن فيه الشفاء من أمراض الشهوات وأمراض الشبهات.

٥- في القرآن دواء الجهل، وهو سبيل الهداية.

٦- الاستشفاء بالقرآن بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءِ شُرُوطِهِ نافع وسبب للشفاء.

٧- في القرآن هداية البيان والدلالة، والتمسك به سبب لهداية التوفيق من الله تعالى.

٨- من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده أن أنزل عليهم هذا الكتاب، فهو كتاب رحمة يرحم به الله من تمسك واستقام.

٩- الرحمة رحمتان: عامة وهي لجميع الخلق، ورحمة خاصة وهي لأهل الإيمان، وهذه لا نصيب فيها لغيرهم.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynootnanetUAE @Baynoona.net

الآية الثانية عشر

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

سياق الآية: بعد أن بيّن الله بعض أحوال أهل الإشراك، وعدم قبولهم للحق الذي جاء من عند الله، وعدم اتباعهم للرسول ﷺ؛ أمر نبيه ﷺ بهذا القول ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وقوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ أي قل يا محمد، هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته طريقتي ودعوتي. وقيل: سُنَّتي ومنهاجي. والسبيل تذكّر وتؤنَّث.

وقوله تعالى ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلّ من اتبعه، والبصيرة هِيَ الْمعرفَة الَّتِي يُمَيّز بهَا بَين الْحق وَالْبَاطِل.

والمعنى: يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي. فيدعو على بصيرة أيضًا من اتبعه وصدقه وآمن به.

واختلف في الوقف، هل يقف على لفظ الجلالة "الله" أم يكمل.

فسَوَاء كَانَ الْمَعْنى أَنا وَمن اتبعني يَدْعُو إِلَى الله على بَصِيرَة أَو كَانَ الْوَقْف عِنْد قَوْله ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ثمَّ يَبْتَدِئ ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ فالقولان متلازمان فَإِنَّهُ أمره سُبْحَانَهُ أَن يخبر أَن سَبِيله: الدعْوَة إِلَى الله، فَمن دَعَا إِلَى الله تَعَالَى؛ فَهُوَ على سَبِيل رَسُوله ﷺ، وَهُوَ على بَصِيرَة وَهُوَ من أَتْبَاعه. وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ فَقَدْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ عَالِمًا بِهِ

وَمن دَعَا إِلَى غير ذَلِك فَلَيْسَ على سَبِيله وَلَا هُوَ على بَصِيرَة وَلَا هُوَ من أَتْبَاعه.

مسألة: الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَتْبَاعَهُ هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ الدَّاعِينَ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ. فَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْمُوَافَقَةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَى الِانْتِسَابِ وَالدَّعْوَى.

وفي الآية تنبيه إلى أنه لابد من العلم الشرعي الذي تقوم به حياة المرء في الدنيا والآخرة، ولا يمكن لأي دعوة أن تقوم إلا وهي مبنية على العلم.

واستدل العلماء بالآية أنه يشترط في الآمر بالمعروف؛ أن يكون له علم يعلم به أن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر؛ لأنه إذا كان جاهلاً بذلك؛ فقد يأمر بمنكر وينهى عن معروف.

قوله تعالى ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ التسبيح التنزيه، يقول له تعالى ذكره: وقل، تنزيهًا لله ، وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه.

فالمعنى: أنزه الله وأجلّه وأعظّمه وأقدّسه، عن أن يكون له شريك أو نظير، أو عديل أو نديد، أو ولد أو والد أو صاحبة، أو وزير أو مشير، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن ذلك كله علوا كبيرا.

قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فيه البراءة من الشرك، وأنه يخالف سبيل الأنبياء والرسل، وهو كذلك قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

من فوائد الآية:

١- فضل رسول الله ﷺ وبيان منهجه ومسلكه.
٢- أعظم الدعوة الدعوة إلى توحيد الله سبحانه ونبذ ما خالف ذلك من الكفر والشرك.
٣- فضل الدعوة إلى الله تعالى وأنها مهمة الرسل والأنبياء
٤- أهمية العلم في الدعوة إلى الله، وعدم القيام بهذه المهمة بغير علم وبصيرة
٥- خطورة الجهل في الدعوة إلى الله وأن هذا فيه تشبه بطريقة المخالفين للرسل
٦- الأمر بالمعروف يكون بعلم وبصيرة، وله فقه وضوابط، وإلا أدى إلى مفاسد كثيرة.
٧- أتباع النبي ﷺ هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ الدَّاعِينَ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ.
٨- نزّه الله تعالى نفسه في آيات كثيرة عن الشريك والولد والوالد والنظير، وهذا هو معنى التوحيد.
٩- خطورة الشرك بالله تعالى فهو أقبح الأعمال والأقوال، وأسوأ السيئات.
١٠- براءة الأنبياء من الشرك وطريقة أهله وكل عمل يدني منه.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonaUAE @BaynoothanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ١٣

الآية الثالثة عشر

قال تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:٣٩]

سياق الآية : جاءت الآية بعد قوله تعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ أي لكل أمر قضاهُ اللهُ كتابٌ قد كتبه فيه ووقت يقع فيه، ثم جاء الكلام في الآية عن أن الله بيده أمر ذلك.

قوله تعالى ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ قيل: يمحو كل شيء إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما. وقيل حتى الشقاوة والسعادة، وقد ورد عن عمر بن الخطاب، ﷺ، أنه وهو يطوف بالبيت يبكي ويقول: اللهم، إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبًا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة. فيكون معنى الآية أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب.

فكما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

مسألة : الْجَوَابُ الْمُحَقَّقُ فِي مسألة المحو والإثبات: أَنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ لِلْعَبْدِ أَجَلًا فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ فَإِذَا وَصَلَ رَحِمَهُ زَادَ فِي ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ. وَإِنْ عَمِلَ مَا يُوجِبُ النَّقْصَ نَقَصَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ. ... وهَذَا مَعْنَى مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كُنْت كَتَبْتَنِي شَقِيًّا فَامْحُنِي وَاكْتُبْنِي سَعِيدًا فَإِنَّك تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ. وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ مَا كَتَبَهُ لَهُ وَمَا يَزِيدُهُ إيَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالْمَلَائِكَةُ لَا عِلْمَ لَهُمْ إلَّا مَا عَلَّمَهُمْ اللَّهُ وَاَللَّهُ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَبَعْدَ كَوْنِهَا، فَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إنَّ الْمَحْوَ وَالْإِثْبَاتَ فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ وَأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَبْدُو لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ وَلَا إثْبَاتَ. وَأَمَّا اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ فَهَلْ فِيهِ مَحْوٌ وَإِثْبَاتٌ عَلَى قَوْلَيْنِ. وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

فإذا الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِي الصُّحُفِ الَّتِي فِي أَيْدِي الْمَلَائِكَةِ، والْمَحْوَ وَالْإِثْبَاتَ مِنَ الصُّحُفِ الَّتِي فِي أَيْدِي الْمَلَائِكَةِ.

وفسّر بعضهم قوله تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ بأن المراد بذلك يتعلّق بالشرائع، فينسخ اللهُ منها ما يشاء ويُثبتُ ما يشاء، حتى خُتمت برسالة نبيِّنا محمد ﷺ، التي نَسخت جميع الشرائع قبلها.

قوله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ سِيَاقُ الْآيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾، أَيْ: مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، أَيْ: أَصْلُهُ، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. قيل ومعنى أم الكتاب أي الذي لا يتغير.

من فوائد الآية:

١- أن الله تعالى كتب كل شيء فهو عنده في اللوح المحفوظ

٢- أن الواجب على العبد بذل السبب في فعل الطاعات واجتناب المعاصي.

٣- أن الله تعالى له التصرف الكامل فيما يفعل سبحانه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾.

٤- أن الملائكة لا يعلمون الغيب، وإنما بما يعلمهم الله تعالى.

٥- أن الذي يغير هو ما في صحف الملائكة.

٦- أن ما في اللوح المحفوظ لا يتغير ولا يتبدل، على ماسبق ذكره.

٧- أم الكتاب هو اللوح المحفوظ.

٨- أن الله ينسخ ما يشاء من الشرائع والأحكام، كما قال تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

٩- اللجوء إلى الله والتوكل عليه مع بذل الأسباب المشروعة، فهو سبحانه من بيده مقاليد الخلق، وبيده كل شيء.

١٠- أن ماسبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، فهو العليم بكل شيء المحيط به.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

الآية الرابعة عشر

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]

سياق الآية: جاءت الآية بعد قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ عَلَى الْوَفَاءِ أَوْ عَلَى الْإِيمَانِ.

قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم، فصرتم جميعًا جماعة واحدة، وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفترقون، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم، فجعلكم أهل ملل شتى، بأن وفَّق هؤلاء للإيمان به، والعمل بطاعته، فكانوا مؤمنين، وخذل هؤلاء فحَرَمهم توفيقه فكانوا كافرين.

قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ، عَدْلًا مِنْهُ فِيهِمْ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ، فَضْلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ.

فهو سبحانه الهادي وهو المضلّ، كما قال سبحانه ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وفي الآية رد على القدرية الذين يقولون أن العبد يهدي نفسه، فإن الهداية والإضلال بيد الله سبحانه، لا يسأل عما يفعل.

مسألة: الْهُدَى أَقْسَامٍ. أَحَدُهَا: الْهِدَايَةُ إِلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا، فَهَذَا مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ وَالْأَعْجَمِ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ.

وَالثَّانِي: الْهُدَى بِمَعْنَى دُعَاءِ الْخَلْقِ إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ وَأَمْرُهُمْ بِذَلِكَ، وَهُوَ نَصْبُ الْأَدِلَّةِ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالُ الْكُتُبِ، فَهَذَا أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ الْمُكَلَّفِينَ سَوَاءٌ آمَنُوا أَوْ كَفَرُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾.

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

وهنا يظهر الجمع بين قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وقوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فنفى عنه هداية التوفيق وأثبت له هداية الدعوة والبيان والإرشاد.

النوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ وقال أهل الجنة فيها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ وقال تعالى عن أهل النار: ﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وليسألنكم الله جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته، والعاصي له بمعصيته.

من فوائد الآية:

١- علم الله سبحانه وتعالى وقدرته، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٢- أن الله تعالى قادر أن يجعل الناس جميعا أهل ملة واحدة لا يختلفون ولا يفترقون.

٣- أن الله تعالى له سبحانه الحكمة البالغة في أمره القدري الكوني من حصول الافتراق.

٤- أن الله أمر شرعا بالاجتماع، وهذا ما يجب أن يسعى له الناس.

٥- أن الهداية والإضلال بيد الله سبحانه، يهدي من يشأ بعلمه ويضلّ من يشأ بعدله.

٦- أن الإنسان يكثر اللجوء إلى الله بصلاح قلبه واستقامة أحواله، فهو الهادي سبحانه.

٧- أن الله تعالى هدى الكائنات جميعا لما فيه مصالحها الدنيوية.

٨- أن الله سبحانه بيده وحده هداية التوفيق، وأما الرسل والأنبياء والمصلحون فيملكون هداية البيان والإرشد وهي الدلالة وبيان الحق من أصوله الشرعية.

٩- سؤال الله تعالى للعبد يوم القيامة عما قدّم في الدنيا صالحا أو غير ذلك.

١٠- أن الله لا يظلم الناس شيئا فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ١٥

الآية الخامسة عشر

قال تعالى ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ [الكهف:٤٥]

سياق الآية: جاءت هذه الآية في سياق الرد على المستكبرين الذين قالوا للنبي ﷺ: اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾.

قوله تعالى ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ الخطاب كما سبق للمستكبرين الَّذِينَ سألوه ﷺ طرد فقراء الْمُؤْمِنِينَ، فضرب الله لهم مثلا بالحياة الدنيا أَيْ شَبَهَهَا.

ضرب الأمثال كثير في القرآن وهو علم من علوم القرآن، وَفِي هَذِهِ الْأَمْثَالِ وَأَشْبَاهِهَا فِي الْقُرْآنِ عِبَرٌ وَمَوَاعِظُ وَزَوَاجِرُ عَظِيمَةٌ جِدًّا، لَا لَبْسَ فِي الْحَقِّ مَعَهَا، إلَّا أَنَّهَا لَا يَعْقِلُ مَعَانِيَهَا إلَّا أَهْلُ الْعِلْمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلَّا الْعَالِمُونَ، وَمِنْ حِكَمِ ضَرْبِ الْمَثَلِ: أَنْ يَتَذَكَّرَ النَّاسُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.
وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ: أَنَّ الْأَمْثَالَ مَعَ إيضَاحِهَا لِلْحَقِّ يَهْدِي بِهَا اللَّهُ قَوْمًا، وَيُضِلُّ بِهَا قَوْمًا آخَرِينَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾.

والمعنى هنا: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار.

قوله تعالى: ﴿ كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا.

نكتة لطيفة: قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: إنَّمَا شَبَّهَ تَعَالَى الدُّنْيَا بِالْمَاءِ لِأَنَّ الْمَاءَ لَا يَسْتَقِرُّ فِي مَوْضِعٍ، كَذَلِكَ الدُّنْيَا لَا تَبْقَى عَلَى وَاحِدٍ، وَلِأَنَّ الْمَاءَ لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ كَذَلِكَ الدُّنْيَا، وَلِأَنَّ الْمَاءَ لَا يَبْقَى وَيَذْهَبُ كَذَلِكَ الدُّنْيَا تَفْنَى، وَلِأَنَّ الْمَاءَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ وَلَا يَبْتَلَّ كَذَلِكَ الدُّنْيَا لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ دَخَلَهَا مِنْ فِتْنَتِهَا وَآفَتِهَا، وَلِأَنَّ الْمَاءَ إذَا كَانَ بِقَدْرٍ كَانَ نَافِعًا مُنْبِتًا، وَإِذَا جَاوَزَ الْمِقْدَارَ كَانَ ضَارًّا مُهْلِكًا، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا الْكَفَافُ مِنْهَا يَنْفَعُ وَفُضُولُهَا يَضُرُّ.

وقوله ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ الْهَشِيمُ: الْكَسِيرُ، وَهُوَ مِنَ النَّبَاتِ مَا تَكَسَّرَ بِسَبَبِ انْقِطَاعِ الْمَاءِ عَنْهُ وَتَفَتَّتَ، وتَذْرُوهُ الرِّيَاحُ تُفَرِّقُهُ وتَنْسِفُهُ، وقيل: تَذْهَبُ بِهِ وَتَجِيءُ.

لفتة [كيف يعرف توفيق العبد من خذلانه؟]: قال العلماء: العاقل الجازم الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة أي حالته مع الدنيا، ويقول لنفسه: قدّري أنك قد مت، ولا بد أن تموتي، فأي: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل، لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسرانه.

قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ أي وكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ من الإنشاء والإفناء مُقْتَدِراً. فله القوة الكاملة والقدرة التامة على فعل ما يشاء. ما وجد فهو قادر على إعدامه، وما عُدِم فهو قادر على إيجاده، وليس بين الإيجاد والعدم إلاَّ كلمة ﴿ كن ﴾، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾. وفي قوله: ﴿مُّقۡتَدِرًا ﴾ مبالغة في القدرة.

من فوائد الآية:

١- رحمة الله بعباده المؤمنين، وهو ما دلّ عليه سياق الآية.
٢- الرد على قول المستكبرين على الحق وبيان حالهم ومآلهم.
٣- بيان حال الدنيا وما تؤول إليه.
٤- الحرص على قبول الحق والعمل به، وعدم الاغترار بالدنيا.
٥- أهمية الأمثال القرآنية، وأثرها في الهداية والدلالة.
٦- وجه مشابهة الدنيا للماء من أوجه كثيرة سبق ذكرها.
٧- أن الله تعالى أعطى للعبد حق الاختيار، وبيّن له السبيل، فالواجب عليه أن يسلك الأسباب الموصلة له إلى الجنة والنعيم.
٨- لله سبحانه القدرة الكاملة في إيجاد المعدوم، أو إعدام الموجود وليس بين الإيجاد والعدم إلاَّ كلمة ﴿كن﴾.
٩- اثبات اسم الله المقتدر، فهو من الأسماء الحسنى، ومن أسمائه ﴿القدير والقادر﴾
١٠- إثبات صفة القدرة لله تعالى، وهي قدرة كاملة تليق بجلاله سبحانه.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoonanet.net @Baynoonanet @BaynootnanetUAE

الآية السادسة عشر

قال الله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ [مريم:٧٦].

سياق الآية : لما ذكر سبحانه أنه يمد للظالمين في ضلالهم، كما في قوله ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ ﴾ ذكر بعد ذلك أنه يزيد المهتدين هداية من فضله عليهم ورحمته.

قوله تعالى ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ قد جاء في آيات كثيرة أن من اهتدى زاده الله هدى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ ﴾، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾، وقد جمع بينهما في آيات أخر . كقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.

وقيل: ويزيد الله من سلك قصد المحجة، واهتدى لسبيل الرُشد، فآمن بربه، وصدّق بآياته، فعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدّد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه ، ويقرّ بلزوم فرضها إياه، ويعمل بها، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه.

والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح. فكل من سلك طريقا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهله عليه وييسره له، ووهب له أمورا أخر، لا تدخل تحت كسبه، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه.

مسألة : كما أن الإيمان يزيد وينقص فأهله كذلك يتفاضلون فيه، ومن أدلة ذلك :

قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ - إلى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ﴾ . الآيات ، وفي حديث الشفاعة : « أن الله يخرج من النار من كان في قلبه وزن دينار من إيمان ، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان » . وفي رواية : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة » .

قوله ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ قيل: الأعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم ، الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ : «التحقيق أن ﴿ الباقيات الصالحات ﴾ لفظ عام ، يشمل الصلوات الخمس، والكلمات الخمس المذكورة ، وغير ذلك من الأعمال التي ترضي الله تعالى : لأنها باقية لصاحبها غير زائلة . ولا فانية كزينة الحياة الدنيا ، وئلنها ايضاً صالحة لوقوعها على الوجه الذي يرضي الله تعالى».

قلت قد ورد في الحديث قوله ﷺ : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع ؛ وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» وهي أفضل الكلام بعد القرآن، ولذا قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ :« الباقيات الصالحات هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ وأمثالها مما يقرب إلى الله عز وجل وإن شيءت فقل الباقيات الصالحات كل الأعمال الصالحة لأنها تبقى للإنسان بعد موته يجدها يوم القيامة".

قوله تعالى: ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ ﴿ ثَوَابًا ﴾ أي: جزاء ﴿ وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ أي: عاقبة ومردا على صاحبها، وقيل: خيرٌ ردّاً للثواب على عامليها ، فليست كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت .

من فوائد الآية :

١- بيان فضل الله على عباده وعنايته بهدايتهم

٢- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

٣- أن العبد يختار سبل الهداية ويسلك طرقها، وأما الهداية والإضلال فبيد الله سبحانه، والله لا يظلم الناس شيئا.

٤- الحرص على العلم النافع والعمل الصالح

٥- أهل الإيمان يتفاضلون فيه، فمنهم من يزيد إيمانه ومنهم من ينقص إيمانه، والعمل من الإيمان.

٦- فضل الباقيات الصالحات وهي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وأنها أفضل الكلام بعد القرآن.

٧- أهمية الأعمال الصالحة عموما والتي تبقى للعبد بعد موته.

٨- أعمال الكفار غير باقية، فالإيمان شرط في قبول العمل والنجاة في الآخرة.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynootnanetUAE

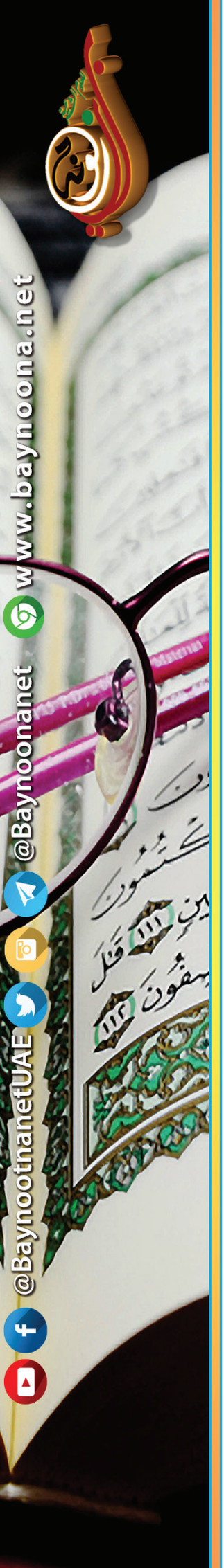

يسير الوقفات مع آية من الآيات ١٧

الآية السابعة عشر

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

سياق الآية: جاءت الآية في سياق امتنان الله تعالى على عبده ونبيه محمد ﷺ، بإرساله رحمة للعالمين، والله يمتن بما يشاء، ولا يمتنّ الله على عباده إلا بشيء نافع لهم، كما امتن على أقوام بإرسال الرسل، وامتن على عباده المؤمنين بشرائع كثيرة، فله المنّة سبحانه.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ فيه ما دلّت عليه الكثيرمن الأدلة من أن الله بعث نبينا محمد ﷺ نبيا ورسولا.

والرسول هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه إلى قوم مخالفين.

وهذا بخلاف النبي النبوات هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأ الله به إلى قوم موافقين؛ فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله فهو رسول.

﴿ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فهو ﷺ رحمة الله المهداة لعباده، فالمؤمنون به، قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وقاموا بها، وغيرهم كفرها، وبدلوا نعمة الله كفرا، وأبوا رحمة الله ونعمته. كما قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾.

ضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال: لو فجر الله عيناً للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول، فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها، فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل. فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين. ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾.

وقيل: كونه رحمة للكفار من حيث إن عقوبتهم أخرت بسببه، وأمنوا به عذاب الاستئصال. والأول أظهر.

نكتة لطيفة: ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة: من أنه ما أرسله إلا رحمة للعالمين يدل على أنه جاء بالرحمة للخلق فيما تضمنه هذا القرآن العظيم. وهذا المعنى جاء موضحاً في مواضع من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ﴾.

مسألة: اختلف أهل التفسير في معنى هذه الآية، أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟

فقال بعضهم: عني بها جميع العالم المؤمن والكافر، وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر. والصواب الأول.

كونه رحمة لنا شيء لا يخفى، ولكفار قريش فمن حيث قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ ﴾ [الأنفال: ٣٣] ولأهل الذمة فإيجابه حمايتهم والذب عنهم ولأهل العرب وأئمة الضلال فمن حيث تحقيقه عنهم يمحو لنفسهم السيئة لولا هؤلاء، ودعوته تتضاعف عليهم أوزارهم بإضلالهم الناس كافة.

من فوائد الآية:

١- رحمة الله تعالى بعباده وعنايته بهم جميعا مؤمنهم وكافرهم.
٢- إصطفاؤه تعالى لنبينا محمد ﷺ نبيا ورسولا
٣- رحمته بتعالى بعباده بإرسال محمد ﷺ رحمة مهداة لهم.
٤- الفرق بين النبي والرسول كما ذكر فيما سبق.
٥- من رحمة الله تعالى بالخلق هذا القرآن الذي أنزله على نبيه ﷺ.
٦- رحمة الله تعالى منها رحمة مخلوقة كالجنة ونبينا ﷺ، حيث جعله الله رحمة، ومنها رحمة التي هي صفة من صفاته سبحانه.
٧- رحمته سبحانه بغير المؤمن ظاهرة في نصوص كثيرة سواء كان كافرا كتابيا أو مشركيا، أو كان مؤمنا فاسقا ضالا.
٨- من قبل رحمة الله التي هي نبيه ﷺ فاز وأفلح، ومن ردها وأعرض عنها هلك وضل

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

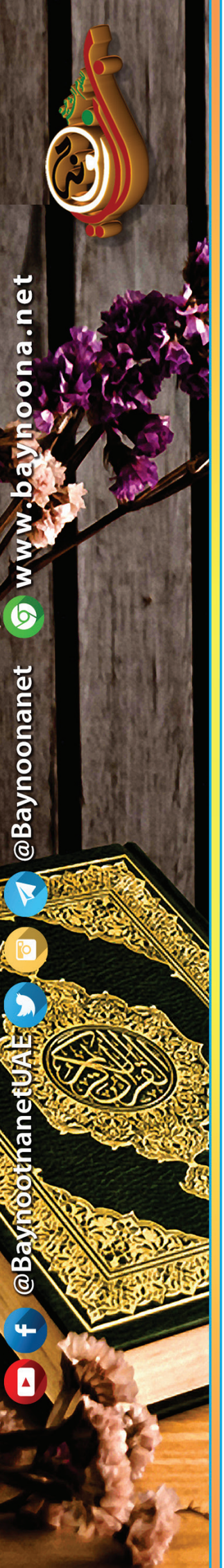

الآية الثامنة عشر

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]

سياق الآية: بعد أن بيّن الله تعالى حال المنافقين وإعراضهم عن حكم الله تعالى ورسوله ﷺ كما في قوله ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ جاء بعد ذلك بيان وصف المؤمنين، وأنهم يخالفون أهل النفاق، فهم أهل سمع وطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ.

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المعنى: أنه إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين خصومهم والمؤمنون هنا هم المؤمنون حقيقة، الذين صدّقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها.

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ﴾ ليس بخبر ماضٍ، وإنما المعنى: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا. فهو تَعْلِيم أدب من الشَّرْع، على معنى أَن الْمُؤمنِينَ كَذَا يَنْبَغِي أَن يَكُونُوا.

قوله تعالى ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فلا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بالله، ورضي حكمه في القليل والكثير، وتحاكم إلى شريعته وحدها في كل شأن من شئونه، في الأنفس والأموال والأعراض.

مسألة: هذه الآية فيها مدح المؤمنين بقبولهم لحكم الله ولحكم رسوله ﷺ، وهذا خلاف من أعرض وادعى الإيمان وهو معرض عن كلام الله ورسوله غير محكّم لذلك، فإن الله أخبر عنهم بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فَنَفَى الْإِيمَانَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إذَا دُعُوا إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا؛ فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ.

وقفة يسيرة: الحكم بما أنزل الله أمر متعين على المؤمنين، ولكن لم يقل بأن الحكم بغير ما أنزل الله كفر على الإطلاق إلا الخوارج، كما قال المفسرون في قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

حيث جاء عن ترجمان القرآن ابنُ عَبَّاسٍ ﭬ في تفسيرِ هذه الآيَةِ "إنه ليس بالكُفْرِ الذي يذهبونَ إليهِ إنه ليسَ كُفْرًا يَنْقُلُ عن الْمِلَّةِ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ كُفْرٌ دونَ كُفْرٍ".

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية، ويقولون: من لم يحكم بما أنزل الله؛ فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لا يكفر بترك الحكم».

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج. وقيل: سمعنَا الدُّعَاء، وأطعنا بالإجابة.

قوله تعالى ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حصر الفلاح فيهم، لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله. والمفلحون الفائزون.

من فوائد تفسير الآية:

١- أهل النفاق هم أهل إعراض عن الوحيين وكذب وتلوّن، وهذا ما دلّت عليه الكثير من الآيات، وذلك أنهم يبطنون الكفر ويظهر الإسلام مخادعة.

٢- من صفات أهل الإيمان قبول حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ، وتقديم ذلك على هوى النفس.

٣- الرجوع في التحاكم إلى نصوص الوحيين.

٤- أهمية فهم سلف الأمة -وعلى رأسهم الصحابة ﭫ- للنصوص الشرعية، لدلالة الأدلة الأخرى على هذا، كما في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

٥- الحكم بغير ما أنزل الله لا يكون كفرا مطلقا إلا على قول الخوارج، ومن تبعهم من دعاة الثورات والتكفير كجماعة الإخوان المسلمين والسرورية ومن نحا نحوهم.

٦- التحاكم لشرع الله ودينه في جميع شؤون الحياة، ولا يقتصر على جانب دون آخر.

٧- أهل الإيمان المحكمون لشرع ربهم، هم أهل الفلاح في الدنيا والآخرة.

٨- أهل الإعراض عن تحكيم الوحيين هم أهل الخسارة في الدنيا والآخرة.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
@BaynoonanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ١٩

الآية التاسعة عشر

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان:٧٠].

سياق الآية : جاءت هذه الآية بعد بيان خطورة الشرك وكذلك جريمتي القتل والزنا كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾.

وقيل أن الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب، فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك إسلام، فاستفتَوْا رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ أي: في الدنيا إلى الله من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه، والتوبة.

وفي الآية ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس والزنى أنّه يبدّل سيئاتِه حساب، وهذا حكم عامّ لكلّ تائب من كلّ ذنب. ولا شك أن الإقدام على المعاصي شرٌ عظيم وفسادٌ كبير وسبب لغضب الله؛ ولكن متى تاب العبد إلى ربه توبةً صادقةً تاب الله عليه، فقد سُئل النبي ﷺ مرات كثيرة عن الرجل يأتي كذا ويأتي كذا من الهنات والمعاصي الكثيرة ومن أنواع الكفر ثم يتوب فيقول الرسول ﷺ :« التوبة تهدم ما كان قبلها والإسلام يهدم ما كان قبله ».

مسألة : في ذلك دلالة على صحة توبة القاتل، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة، فتحمل على من لم يتب، لأن هذه مقيدة بالتوبة، ثم قد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ وقد ثبتت السنة الصحيحة، عن رسول الله ﷺ بصحة توبة القاتل، كما ذكر مقررا من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب، وقبل منه، وغير ذلك من الأحاديث.

مسألة : شروط التوبة النصوح : للتوبة النصوح شروط خمسة :

الشرط الأول: الإخلاص: والإخلاص شرط في كل عبادة، والتوبة من العبادات.

الشرط الثاني: الندم على ما حصل.

الشرط الثالث: الإقلاع عن المعصية التي تاب منها

الشرط الرابع: العزم على أن لا يعود.

الشرط الخامس: أن تكون التوبة وقت قبول التوبة.

قوله تعالى ﴿ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ إلَّا من نَدم وآمن بربه إيمانا صحيحا يقتضي ترك المعاصي وفعل الطاعات، وَعمل عملا صَالحا فِي الْمُسْتَقْبل.

قوله تعالى: ﴿ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات. كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك فحوَّلهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات.

والقول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا أنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار. فيوم القيامة وإن وجده مكتوبا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته، كما ثبتت السنة بذلك، وصحت به الآثار المروية عن السلف، رحمهم الله تعالى.

لفتة لطيفة: ذَنْبَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِهِ قَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ حَسَنَاتٌ أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَكْثَرُ، وَأَعْظَمُ نَفْعًا، وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عِصْمَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ مَنْ ذُلٍّ وَانْكِسَارٍ وَخَشْيَةٍ، وَإِنَابَةٍ وَنَدَمٍ، وَتَدَارُكٍ بِمُرَاغَمَةِ الْعَدُوِّ بِحَسَنَةٍ أَوْ حَسَنَاتٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، حَتَّى يَقُولَ الشَّيْطَانُ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوقِعْهُ فِيمَا أَوْقَعْتُهُ فِيهِ، وَيَنْدَمُ الشَّيْطَانُ عَلَى إِيقَاعِهِ فِي الذَّنْبِ، كَنَدَامَةِ فَاعِلِهِ عَلَى ارْتِكَابِهِ، لَكِنْ شَتَّانَ مَا بَيْنَ النَّدَمَيْنِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ مُرَاغَمَةَ عَدُوِّهِ وَغَيْظَهُ.

من فوائد الآية:

١- خطورة المعاصي على العبد، وأنها سبب في ضعف الإيمان والشقاء في الدنيا والآخرة.

٢- رحمة الله على عباده المؤمنين بفتح باب التوبة لهم.

٣- خطورة الشرك بالله تعالى كما هو سباق الآية.

٤- التوبة النصوح المقبولة لها شروط لابد من توافرها.

٥- إذا صحّت توبة المشرك فمن باب أولى صحة توبة القاتل.

٦- فضل التوبة ومنزلتها.

٧- محبة الله للتائبين كما قال شبحانه في آية أخرى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾.

٨- العزم على علم الصالحات.

٩- تبديل الله السيئات بحسنات للتائب.

١٠- توبة العبد من الذنب ولجوءه إلى الله تعالى واستغفاره، قد يكون أنفع للعبد من كثيرمن الطاعات، وقد يكون أحب إلى الله من أن يعصمه من ذلك الذنب.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ٢٠

الآية العشرون

قال الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢]

سبب النزول: قال الشعبي: نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ: أنه لا يقبل منكم إقرار بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا. وقال ابن جريج: نزلت في عمار بن ياسر، كان يعذب في الله عز وجل.

قوله تعالى ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ ﴾ أظنَّ الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان، بأن قالوا: آمنا بك يا محمد فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرهم، ليتبين الصادق منهم من الكاذب.

قوله تعالى ﴿ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال "إنه مؤمن" وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن.

مسألة: ترجع الفتن كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته، ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكا وريبا، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

لفتة: الحكمة من الابتلاء: الحكمة من ابتلاء الله لعبده بالمحن إن الله تعالى لم يبتله ليهلكه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء ، كما له عليه عبودية في السراء ، وله عليه عبودية فيما يكره كما له عليه عبودية فيما يحب ، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون ، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره ، ففيه تفاوتت مراتب العباد ، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى.

مسألة : لا شك أن المؤمن يحرص على الصبر على البلاء، فبذلك يكون التعبد لله تعالى حال البلاء، ولقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الصبر على البلاء ينشأ من أسباب عديدة، نذكرها هنا على سبيل الاختصار:

أحدها: شهود جزائها وثوابها.

الثاني: شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها.

الثالث: شهود القدر السابق الجارى بها، وأنها مقدرة فى أُم الكتاب قبل أن يخلق فلا بد منها، فجزعه لا يزيده إلا بلاءً.

الرابع: شهوده حق الله عليه فى تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأُمة،

الخامس: شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾

السادس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختاره وقسمها وأن العبودية تقتضى رضاه بما رضى له به سيده ومولاه

السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هى دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به

الثامن: أن يعلم أن فى عُقبى هذا الدواءِ من الشفاءِ والعافية والصحة وزوال الأَلم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره

التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءَت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه

العاشر: أن يعلم أن الله يربى عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته فى جميع الأحوال.

من فوائد تفسير الآية:

١- الابتلاء هو امتحان من الله تعالى

٢- حكمته سبحانه لا تقتضي أن كل من قال "إنه مؤمن" وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلم فيها من الفتن والمحن.

٣- وجوب الصبر على البلاء

٤- كما أن لله عبودية في السراء فله عبودية بالضراء

٥- من حكم ابتلاء الله لعبده أن يمتحن صبره.

٦- أن الابتلاء فيه تكفير للسيئات.

٧- الابتلاء عام قد يكون بالمال والولد والغنى والفقر والعافية والمرض.

٨- أن البلاء قد يكون أنفع للعبد من كثير من النعم، فيكون سبب في تعبده لربه ورجوعه إليه.

٩- أن يعلم العبد أن الله قدّر عليه هذه الأقدار فيكون ذلك عونا له على الصبر

١٠- أن الشأن في إعطاء العبودية إنما هو في المكاره والابتلاءات.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoothanetUAE

الآية الواحدة والعشرون

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]

سياق الآية : بعد أن أمر الله عباده بتقواه رهّبهم بيوم القيامة وأنه اليوم الذي لا تجزي نفس عن نفس شيئا وأنه آتيكم؛ ولكن علم إتيانه إياكم عند ربكم، لا يعلم أحد متى هو جائيكم، لا يأتيكم إلا بغتة، فاتقوه أن يفجأكم بغتة، وأنتم على ضلالتكم لم تنيبوا منها، فتصيروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لا قبل لكم به، فبعد ذلك ذكر سبحانه في هذه الآية أن ذاك الموعد يختص الله بعلمه.

سبب نزولها : قيل إن رجلا من بني محَارب بن خصفة أَتَى النَّبِي وَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إِن أَرْضنَا أجدبت، فَمَتَى ينزل الْغَيْث؟ وَإِنِّي تركت امْرَأَتي حُبْلَى، فَمَاذَا تلد؟ وَقد علمت مَا أعمل الْيَوْم، فَمَاذَا أعمل غدا؟ وَأَخْبرنِي أَنى بِأَيّ أَرض أَمُوت؟ وَأَخْبرنِي مَتى السَّاعَة؟ فَأنْزل الله تَعَالَى هَذِه الْآيَة إِلَى آخرهَا. قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي متى تقوم ، فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة، في أيّ سنة، أو في أيّ شهر، أو ليل، أو نهار. وقال بعضهم : يحتمل وجهين: أحدهما: أن قيامها مختص بعلمه. الثاني: أن قيامها موقوف على إرادته.

مسألة: الحكمة من من منع العبد العلم بعلم الساعة ووقت آجالهم :

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:« وفي ذَلِك من الْحِكْمَة الْبَالِغَة مَالا يحْتَاج الى نظر، فَلَو عرف الانسان مِقْدَار عمره؛ فَإِن كَانَ قصير الْعُمر لم يتهنأ بالعيش وَكَيف يتهنأ بِهِ وَهُوَ يترقب الْمَوْت فِي ذَلِك الْوَقْت فلولا طول الأمل لخربت الدُّنْيَا وأنما عمارتها بالآمال.

وَإِن كَانَ طَوِيل الْعُمر وَقد تحقق ذَلِك؛ فَهُوَ واثق بِالْبَقَاءِ فَلَا يُبَالِي بالانهماك فِي الشَّهَوَات والمعاصي وأنواع الْفساد؛ وَيَقُول: إِذا قرب الْوَقْت احدثت تَوْبَة، وَهَذَا مَذْهَب لَا يرتضيه الله تَعَالَى عز وَجل من عباده وَلَا يقبله مِنْهُم وَلَا تصلح عَلَيْهِ أحوال الْعَالم وَلَا يصلح الْعَالم إِلَّا على هَذَا الَّذِي اقتضته حكمته وَسبق فِي علمه... سنة الله عز وَجل ان الْعَبْد إِذا عاين الِانْتِقَال [أي الموت] الى الله تَعَالَى لم يَنْفَعهُ تَوْبَة وَلَا اقلاع قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ . وَالله تَعَالَى إِنَّمَا يغْفر للْعَبد إِذا كَانَ وُقُوع الذَّنب مِنْهُ على وَجه غَلَبَة الشَّهْوَة وَقُوَّة الطبيعة فيواقع الذَّنب مَعَ كَرَاهَته لَهُ من غير إِصْرَار فِي نَفسه فَهَذَا ترجى لَهُ مغْفرَة الله وصفحه وعفوه لعلمه تَعَالَى بضعفه وَغَلَبَة شَهْوَته لَهُ وَأَنه يرى كلّ وَقت مَا لا صَبر لَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِذا وَاقع الذَّنب واقعه مواقعة ذليل خاضع لرَبه خَائِف مختلج فِي صَدره شَهْوَة النَّفس والذَّنب وَكَرَاهَة الايمان لَهُ فَهُوَ يُجيب دَاعِي النَّفس تاره وداعي الايمان تارات. فأما من بنى أمْرَهْ على ان لَا يقف عَن ذَنْب وَلَا يقدم خوفًا وَلَا يدع لله شَهْوَة وَهُوَ فَرح مسرور يضْحك ظهرا لبطن إِذْ ظفر بالذنب فَهَذَا الَّذِي يخَاف عَلَيْهِ ان يُحَال بَينه وَبَين التَّوْبَة وَلَا يوفق لَهَا»

قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلا أو نهارا ، زمانا ومكانا. قوله تعالى: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: من ذكر وأنثى، سليم وسقيم. وقد يطلع المخلوق على شيء من أحوال ما في الأرحام من ذكورة أو أنوثة، أو سلامة أو إصابته بآفة، أو قرب ولادة، أو توقع سقوط الحمل قبل التمام، لكن ذلك بتوفيق من الله إلى أسباب ذلك من كشف بأشعة لا من نفسه ولا يكون شاملا لكل أحوال ما في الرحم، بل إجمالا في بعضه مع احتمال الخطأ أحيانا.

وليس في الآية معارضة لمعرفة نوع الجنين حيث إن الآيةَ تدل على أمر غيبي هو متعلَق علمِ الله تعالى في هذه الأمور الخمسة، والأمورُ الغيبيةُ في حالِ الجنينِ هي : مقدارُ مدتهِ في بطنِ أمه، وحياتهِ، وعملِهِ، ورزقِهِ، وشقاوتهِ أو سعادتهِ، وكونه ذكراً أم أنثى، قبل أن يخلَّق، أما بعد أن يخلق، فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب، لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة، التي لو أزيلت لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أم أنثى . وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا ﴾ لَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا فِي دُنْيَاهَا وَأُخْرَاهَا

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ فِي بَلَدِهَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَيِّ بِلَادِ اللَّهِ كَانَ، لَا عِلْمَ لِأَحَدٍ بِذَلِكَ.

فهذه كلها لا يعلمها إلا الله، وفي الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلاَّ اللَّهُ وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ ، وَلاَ تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ اللَّهُ » [رواه البخاري] .

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ علمه غير مختصّ بل هو عليم ملطقاً بكل شيء وليس علمه بظاهر الأشياء فقط بل هو خبير بظواهر الأشياء وبواطنها.

من فوائد تفسير الآية :

١- علم الساعة مما استأثر الله بعمله.

٢- هو سبحانه من يعلم وقت قيام الساعة، وقيامها موقوف على إرادته

٣- من الحكم في عد علم العبد بوقت قيام الساعة الاجتهاد والاستمرار في فعل الصالحات.

٤- ليس من واقع الذنب مواقعة ذليل خايف من ربه، كمن واقعه وهو فرح مسرور

٥- لا يعلم متى ينزل الغيث زمانا ومكانا إلا الله

٦- معرفة مافي الأرحام بعد التخليق ليس من الغيب، بل هو من علم الشهادة

٧- كل الخمسة الواردة في الآية من الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله

٨- إثبات اسمي العليم والخبير لله تعالى

٩- إثبات الصفتين من الأسمين، والمعنى أن الله أحاط بكل شيء علما، ويعلم ظاهر الأمور وباطنها.

١٠- التعبد لله بمقضتى هذين الإسمين ، فنراقبه في أقوالنا وأعمالنا .

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet

الآية الثانية والعشرون

قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾ معنى أورثنا: "أَوْرَثْنَا" أَعْطَيْنَا، لِأَنَّ الْمِيرَاثَ عَطَاءٌ..

وَقِيلَ: "أَوْرَثْنَا" أَيْ: أَخَّرْنَا، وَمِنْهُ الْمِيرَاثُ لِأَنَّهُ أُخِّرَ عَنِ الْمَيِّتِ، وَمَعْنَاهُ: أَخَّرْنَا الْقُرْآنَ عَنِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَأَعْطَيْنَاكُمُوهُ، وَأَهَّلْنَاكُمْ لَهُ.

والمراد بالكتاب الكتب التي أنزلها الله قبل القرآن، وقيل بل هو القرآن. وَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَعْطَى أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الْقُرْآنَ، وَهُوَ قَدْ تَضَمَّنَ مَعَانِيَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، فَكَأَنَّهُ وَرَّثَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكِتَابَ الَّذِي كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قيل المصطفون هم أمة محمد ﷺ. والظالم لنفسه أهل الإجرام منهم.

قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾

اختلف أهل التفسير في بيان هذه الأصناف، وخلاصة الأمر أنهم يفسرون " الِاسْم " بِبَعْضِ أَنْوَاعِهِ أَوْ أَعْيَانِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ لِلْمُخَاطَبِ؛ لَا عَلَى سَبِيلِ الْحَصْرِ وَالْإِحَاطَةِ فَالْقَوْلُ الْجَامِعُ أَنَّ "الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ" هُوَ الْمُفَرِّطُ بِتَرْكِ مَأْمُورٍ أَوْ فِعْلِ مَحْظُورٍ وَ"الْمُقْتَصِدُ" : الْقَائِمُ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ وَ"السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ" : بِمَنْزِلَةِ الْمُقَرَّبِ الَّذِي يَتَقَرَّبُ إلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ حَتَّى يُحِبَّهُ الْحَقُّ. ثُمَّ إنَّ كُلًّا مِنْهُمْ يَذْكُرُ نَوْعًا مِنْ هَذَا.

فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: "الظَّالِمُ" الْمُؤَخِّرُ لِلصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا وَ"الْمُقْتَصِدُ" الْمُصَلِّي لَهَا فِي وَقْتِهَا وَ"السَّابِقُ" الْمُصَلِّي لَهَا فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا حَيْثُ يَكُونُ التَّقْدِيمُ أَفْضَلَ.

وَقَالَ آخَرُ: "الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ" هُوَ الْبَخِيلُ الَّذِي لَا يَصِلُ رَحِمَهُ وَلَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ وَ"الْمُقْتَصِدُ" الْقَائِمُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الزَّكَاةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَقِرَى الضَّيْفِ وَالْإِعْطَاءِ فِي النَّائِبَةِ وَ"السَّابِقُ" الْفَاعِلُ الْمُسْتَحَبَّ بَعْدَ الْوَاجِبِ. لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَنَافِيَةً بَلْ كُلٌّ ذَكَرَ نَوْعًا مِمَّا تَنَاوَلَتْهُ الْآيَةُ.

فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من وراثة الكتاب، لأن المراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه.

وقال في الآية ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهذا راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه

قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي: وراثة الكتاب الجليل، لمن اصطفى تعالى من عباده، هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم، فأجل النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، وراثة هذا الكتاب.

من فوائد الآية :

١- منّة الله على عباده بإعطائهم هذا الكتاب، وهو القرآن المتضمن للهدى والحق
٢- فضل هذه الأمة على اختلاف مراتبهم باصطفاء الله لهم من بين الأمم .
٣- أكثر خلاف السلف في التفسير هو اختلاف تنوع، ويكون من باب ضرب المثال للمخاطب
٤- خطورة ظلم العبد لنفسه، وذلك بالتفريط في تَرْكِ مَأْمُورٍ أَوْ فِعْلِ مَحْظُورٍ
٥- أهمية فعل الطاعات الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، وأن صاحب هذا المقام مقرّب إلى ربّه بذلك حتى يحبّه.
٦- أهمية فهم معاني القرآن والنظر في تفسيره، وهو ما يتضمنه معنى قوله تعالى ﴿أَوْرَثْنَا﴾
٧- فضل الإيمان على صاحبه، وأنه ينجي صاحبه ولو كان ظالما لنفسه، ولو دخل النار فإنه لا يخلّد فيها.
٨- أن صاحب الطاعات والقربات لا يغتر بذلك بل ينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه، ويسأل الله قبول عمله.
٩- أن النعم تتفاوت، قدرا وكما.
١٠- أجل النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، وراثة القرآن.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynootnanetUAE @Baynoonanet

يسير الوقفات مع آية من الآيات ٢٣

الآية الثالثة والعشرين

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

سياق الآية: جاءت الآية بعد بيان حال المشركين فقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ فجاءت الآية لبيان الفرق بين العابد القانت الذي يتقرب إلى الله وبين المشرك المعرض.

قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ الْقَانِتُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

وَاخْتُلِفَ فِي تعيين القانت ها هنا، فقيل هو رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وقيل: هُوَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: هُوَ عُثْمَانُ رضي الله عنه.

وهذا من باب ضرب المثال في تفسير، وهي عامة في كل عابد لله تعالى.

و﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ : جَوْفُ اللَّيْلِ. وقيل: أَوَّلُهُ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهَوِّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوُقُوفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَرَهُ اللَّهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ».

قوله تعالى: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ يعني في الصلاة، سَاجِدا على وَجهه، قَائِما على رجلَيْهِ.

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ أَيْ: فِي حَالِ عِبَادَتِهِ خَائِفٌ رَاجٍ، وَلَا بُدَّ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ هَذَا وَهَذَا، وَأَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ فِي مُدَّةِ الْحَيَاةِ هُوَ الْغَالِبُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ فَلْيَكُنِ الرَّجَاءُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: قال بعض أهل العلم: ينبغي له أن يغلب الرجاء في حال المرض، والخوف في حال الصحة، حتى ينشط في العمل الصالح، وحتى يحذر محارم الله، ولكن المعتمد في هذا أن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، دَائماً دائماً.

قال الحكمي في منظومته الميمية:

وَاقْنُتْ وَبَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ قُمْ أَبَدًا	تَخْشَى الذُّنُوبَ وَتَرْجُو عَفْوَ ذِي الكَرَمِ
فَالخَوْفُ مَا أَوْرَثَ التَّقْوَى وَحَثَّ عَلَى	مَرْضَاةِ رَبِّي وَهَجْرِ الإِثْمِ وَالأَثَمِ
كَذَا الرَّجَا مَا عَلَى هَذَا يَحُثُّ لِتَصْ	دِيقِ بِمَوْعُودِ رَبِّي بِالجَزَا العَظِمِ
وَالخَوْفُ إِنْ زَادَ أَفْضَى لِلقُنُوطِ كَمَا	يُفْضِي الرَّجَاءُ لأَمْنِ المَكْرِ وَالنِّقَمِ
فَلا تُفَرِّطْ وَلا تُفْرِطْ وَكُنْ وَسَطًا	وَمِثْلَ مَا أَمَرَ الرَّحْمَنُ فَاسْتَقِمِ.

قال العلماء: «الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيَرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ».

قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار.

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إذا ذكروا ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولا ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه.

من فوائد تفسير الآية:

١- لا يستوي أهل الكفر وأهل الإيمان

٢- فضل العبادة ولا سيما القنوت في الليل

٣- فضل السجود، وقد ورد في الأحاديث « أقرب مايكون العبد إلى ربه وهو ساجد »

٤- فضل طول القيام

٥- أن العبد حَالِ عِبَادَتِهِ خَائِفٌ رَاجٍ.

٦- المعتمد أن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء دَائماً.

٧- إذا زاد الخوف أفضى للقنوط من رحمة الله، وإذا زاد الرجاء أفضى لأمن المكر، فالصواب أنهما كجناحي طائر.

٨- فضل العلم ومكانته ومنزلته. وأنه لا يستوي أهل العلم بدين الله مع أهل الجهل.

٩- المؤمن إذا ذُكّر تذكّر.

١٠- فضل العقل الصحيح الذي يقود صاحبه إلى فعل المصالح واجتناب المفاسد، والذي يوافق الشرع ولا يعارضه.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynootnanetUAE

يسير الوقفات مع آية من الآيات ٢٤

الآية الرابعة والعشرون

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

قَوْله تَعَالَى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ هذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم.

ثَبت من حديث النعْمَان بن بشير أَن النَّبِي ﷺ قَالَ: « الدُّعَاء هُوَ الْعِبَادَة. وَقَرَأَ هَذِه الْآيَة » وقد فُسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين من الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالدُّعَاء نَوْعَانِ دُعَاء عبَادَة وَدُعَاء مَسْأَلَة وَالْعَابِد دَاع كَمَا أَن السَّائِل دَاع وَبِهِمَا فسر قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ قيل أَطِيعُونِي أثبكم وَقيل سلوني أعطكم وَفسّر بهما قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ »

"ادعوني" أي اعبدوني وأطيعوا أمري؛ أستجيب دعاءكم. وقيل: سلوني أعطكم، وكلا المعنيين حق. وقيل: وحدوني دُونَ غَيْرِي أُجِبْكُمْ وَأُثِبْكُمْ وَأَغْفِرْ لَكُمْ.

وَعَن ثَابت قَالَ: قلت لأنس: الدُّعَاء نصف الْعِبَادَة، قَالَ: هُوَ كل الْعِبَادَة.

وَقَوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ أَي: عَن دعائي، وَيُقَال: عَن توحيدي.

وَقَوله: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ توعد من استكبر عنها فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم.وقيل داخرين: صاغرين.

مسألة: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلّ من استكبر عَن عبَادَة الله لَا بُد أَن يعبد غَيره فَإِن الْإِنْسَان حساس يَتَحَرَّك بالإرادة وَقد ثَبت فِي [الصَّحِيح] عَن النَّبِي ﷺ أَنه قَالَ: « أصدق الْأَسْمَاء حَارِث وَهَمَّام » " فالحارث الكاسب الْفَاعِل والهمام فعال من الْهم والهم أول الْإِرَادَة فالإنسان لَهُ إِرَادَة دَائِما وكل إِرَادَة فَلَا بُد لَهَا من مُرَاد تنتهى إِلَيْهِ فَلَا بُد لكل عبد من مُرَاد مَحْبُوب هُوَ مُنْتَهى حبه وإرادته فَمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عَن ذَلِك فَلَا بُد أَن لَهُ مُرَاد مَحْبُوب يستعبده غير الله فَيكون عبدا لذَلِك الْمُرَاد المحبوب إِمَّا الْمَال وَإِمَّا الجاه وَإِمَّا الصُّور وَإِمَّا مَا يَتَّخِذهُ إِلَهًا من دون الله كَالشَّمْسِ وَالْقَمَر وَالْكَوَاكِب والأوثان».

من فوائد تفسير الآية:

١- لطف الله بعباده وعنايته بهم وترفقه بهم بما ينفعهم

٢- أنه سبحانه مع غناه عن عباده وحاجتهم إليه يطلب منهم الدعاء، ويعدهم بالإجابة.

٣- ذكرت الآية بلفظ ﴿ربكم﴾ فلأنه هو خالقكم سبحانه، فتوحيده سبحانه في الربوبية يستلزم أن تكون العبادة خالصة له.

٤- الدعاء في القرآن نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة.

٥- لا يجوز صرف الدعاء لغيره سبحانه وكل ما يتضمن معنى الدعاء من الاستعانة والاستغاثة مما لا يقدر عليه إلا الله.

٦- وعد الله عباده بالإجابة، وحال العبد مع دعائه المشروع على ثلاثة أحوال جاء بها الحديث « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ».

٧- قبح الاستكبار عن عبادة الله وذم صاحبه.

٨- سمى الله الدعاء عبادة فقال بعد أمره بالدعاء ﴿إن الَّذين يَسْتَكْبِرُونَ عَن عبادتي ﴾ بل هو من أجل العبادات.

٩- بيان عقوبة المتكبرين، وأن مأواهم جهنم عياذا بالله من عذابه وعقابه.

١٠- الإهانة للمستكبرين، وأنهم سيدخلون النار ذليلين حقيرين.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonetUAE

الآية الخامسة والعشرون

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

سبب النزول: قيل نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى.

وروي خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ: فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَذَلِكَ أَنَّا نَظَرْنَا إِلَى أَمْوَالِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنُقَاعَ فَتَمَنَّيْنَاهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ فوسعه وكثره عندهم، وقيل: أعطاهم كل ما يتمنونه.

قوله تعالى: ﴿ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فتجاوزوا الحدّ الذي حدّه الله لهم إلى غير الذي حدّه لهم في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ ينزل أمره بتقدير ما يشاء مما يُصلح أمورهم ولا يُطغيهم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ خَبِيرٌ بِمَا يصلحهم، بَصِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَهُ ويطلبونه. فمنهم من لا يُصلحه إلا الغنى، ومنهم من لا يصلحه إلّا الفقر.

مسألة: في حكمة الله تعالى في الخلق:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « [ومن درجات حكمة الله]: أَنْ تَشْهَدَ نَظَرَ اللَّهِ فِي وَعْدِهِ. وَتَعْرِفَ عَدْلَهُ فِي حُكْمِهِ. وَتَلْحَظَ بِرَّهُ فِي مَنْعِهِ.

أَيْ تَعْرِفُ الْحِكْمَةَ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَتَشْهَدُ حُكْمَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ...

وَكَذَلِكَ تَعْرِفُ عَدْلَهُ فِي أَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْكَوْنِيَّةِ الْجَارِيَةِ عَلَى الْخَلَائِقِ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ فِيهَا، وَلَا حَيْفَ وَلَا جَوْرَ...

وَكَذَلِكَ تَعْرِفُ بِرَّهُ فِي مَنْعِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يُنْقِصُ خَزَائِنَهُ الْإِنْفَاقُ، وَلَا يَغِيضُ مَا فِي يَمِينِهِ سَعَةُ عَطَائِهِ. فَمَا مَنَعَ مَنْ مَنَعَهُ فَضْلَهُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ كَامِلَةٍ فِي ذَلِكَ. فَإِنَّهُ الْجَوَادُ الْحَكِيمُ. وَحِكْمَتُهُ لَا تُنَاقِضُ جُودَهُ. فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَضَعُ بِرَّهُ وَفَضْلَهُ إِلَّا فِي مَوْضِعِهِ وَوَقْتِهِ. بِقَدْرِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ. وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَفَسَدُوا وَهَلَكُوا».

من فوائد تفسير الآية:

١- أن الله قادر على كل شيء، وبيده كل شيء، لا مكره له سبحانه

٢- أنه هو الرزاق سبحانه ومنه يطلب الرزق

٣- أن له الحكمة البالغة فيمن قدر عليه الفقر والغنى والصحة والمرض.

٤- أن من العباد من لا يستقيم أمر إيمانه إلا مع الفقر، ومنهم من لا يصلح حاله إلا مع الغنى.

٥- أن الإنسان ليطغى عن أمر ربه، ولذلك فهو سبحانه قد يمنع رزقه عن عبده شفقة عليه.

٦- أن الله أنزل كل شيء بقدر

٧- خطورة البغي في الأرض وأنه من الفساد الذي نهى الله عنه.

٨- لا تناقض بين جوده سبحانه وبين تقديره الفقر لبعض عباده.

٩- أحكام الله عادلة لا ظلم فيها، وهو متفضل على عباده بما يشاء، يعطيهم ويمنعهم، ويغنيهم ويفقرهم.

١٠- أن الله سبحانه خَبِيرٌ بِمَا يصلح عباده، بَصِيرٌ بأحوالهم.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoohona.net @Bayhoohanet @BayhoothanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات (٢٦)

الآية السادسة و العشرون

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات:١].

مناسبة نزول الآية: أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل فيَّ كذا، لو أنزل فيَّ كذا، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ قَرَأَ يَعْقُوبُ: "لَا تَقَدَّمُوا" بِفَتْحِ التَّاءِ وَالدَّالِ، مِنَ التَّقَدُّمِ أَيْ لَا تَتَقَدَّمُوا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ، مِنَ التَّقْدِيمِ، وَهُوَ لَازِمٌ بِمَعْنَى التَّقَدُّمِ.

هَذِهِ آدَابٌ، أَدَّبَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يُعَامِلُونَ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ وَالتَّبْجِيلِ وَالْإِعْظَامِ.

والمعنى: أَيْ: لَا تُسْرِعُوا فِي الْأَشْيَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَيْ: قَبْلَهُ، بَلْ كُونُوا تَبَعًا لَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ.

وقيل: لاتعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله.

وَمَنْ قَدَّمَ قَوْلَهُ أَوْ فِعْلَهُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فَقَدْ قَدَّمَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ إِنَّمَا يَأْمُرُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

مسألة: من التقدُّم بين يدي الله ورسوله البدع بجميع أنواعها، فإنها تقدم بين يدي الله ورسوله؛ بل هي أشد التقدم؛ لأن النبي ﷺ قال: « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، وإياكم ومحدثات الأمور** »، **وأخبر بأن « كل بدعة ضلالة »**. وصدق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإن حقيقة حال المبتدع أنه يستدرك على الله ورسوله ما فات، مما يدعي أنه شرع، كأنه يقول: إن الشريعة لم تكمل، وأنه كملها بما أتى به من البدعة، وهذا معارض تماماً لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ هذا تعميم بعد تخصيص؛ لأن التقدم بين يدي الله ورسوله مخالف للتقوى، لكن نص عليه وقدمه لأهميته، ومعنى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي اتخذوا وقاية من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ وهذا لا يتحقق إلا إذا قام الإنسان بفعل الأوامر وترك النواهي، بفعل الأوامر تقرُّباً إلى الله تعالى، ومحبة لثوابه، وترك النواهي خوفاً من عذاب الله – عز وجل –.

قولع تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ هذه الجملة تحذير لنا أن نقع فيما نهانا عنه من التقدُّم بين يدي الله ورسوله، أو أن نخالف ما أمر به من تقواه ﴿ سَمِيعٌ ﴾ أي سميع لما تقولون ﴿ عَلِيمٌ ﴾ أي عليم بما تقولون وما تفعلون؛ لأن العلم أشمل وأعم، إذ إن السمع يتعلق بالمسموعات، والعلم يتعلق بالمعلومات، والله تعالى محيط بكل شيء علماً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

فائدة: السمع الذي اتصف به ربنا – عز وجل – ينقسم إلى قسمين: سمع إدراك وسمع إجابة، فسمع الإدراك معناه أن الله يسمع كل صوت خفي أو ظهر.

وسمع الإدراك قد يُراد به بيان الإحاطة والشمول مثل قوله ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾.

وقد يُراد به التهديد مثل قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾. وقد يُراد به التأييد، ومنه قوله – تبارك وتعالى – لموسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، فالمراد بالسمع هنا التأييد يعني: أسمعك وأؤيدك، يعني أسمع ما تقولان وما يُقال لكما.

أما سمع الإجابة فمعناه: أن الله يستجيب لمن دعاه، ومنه قول إبراهيم: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾. أي مجيب الدعاء، ومنه قول المصلي: «سمع الله لمن حمده».

من فوائد الآية:

١- الخطاب لأهل الإيمان، فالإيمان أصل وأساس في قبول الأعمال.
٢- تأديب الله لعباده المؤمنين في معاملتهم للنبي ﷺ.
٣- مَنْ قَدَّمَ شيئا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فَقَدْ قَدَّمَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.
٤- من التقدّم بين يدي الله تعالى ورسوله البدع والمحدثات.
٥- حقيقة حال المبتدع أنه يستدرك على الله ورسوله.
٦- التقدم بين يدي الله ورسوله مخالف للأوامر بتقواه سبحانه.
٧- التقوى هي فعل الأوامر واجتناب النواهي على علم وبصيرة.
٨- إثبات أسمي السميع والدال على صفة السمع، والعليم، والدال على صفة العلم.
٩- ختام الآية بالإسمين فيه التحذير من المخالفة، فالله سميع لما نقول عليم بجميع أحوالنا.
١٠- سمع الله تعالى ينقسم إلى قسمين: سمع إدراك وسمع إجابة.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet

الآية السابعة و العشرين

قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]

قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَدَرِهِ السَّابِقِ فِي خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ الْبَرِيَّةَ فَقَالَ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ أَيْ: فِي الْآفَاقِ وَفِي نُفُوسِكُمْ.

وقيل في الأرض: بجدوبها وقحوطها، وذهاب زرعها وفسادها وَنقص الثِّمَار.

﴿ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ بالأوصاب والأوجاع والأسقام

وقيل معنى الآية: شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ الكتاب: اللوح المحفوظ.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني: من قبل أن نخلقها، وقيل : من قبل أن يخلق السَّمَاوَات وَالْأَرْض.

وقال بعضهم الضمير: عَائِدٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ. وَالْأَحْسَنُ عَوْدُهُ عَلَى الْخَلِيقَةِ وَالْبَرِيَّةِ؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أَيْ إِثْبَاتَ ذَلِكَ عَلَى كَثْرَتِهِ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وقيل: خَلْقُ ذَلِكَ وَحِفْظُ جَمِيعِهِ.

مسألة : في هذه الآية إثبات علم الله السابق، فإن من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾.

فتضمنت الآية الرد على القدرية الغلاة نفاة العلم، وأن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه وكأنهم يقولون: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْعِبَادَ وَنَهَاهُمْ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، وَلَا مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِمَّنْ يَدْخُلُ النَّارَ حَتَّى فَعَلُوا ذَلِكَ، فَعَلِمَهُ بَعْدَ مَا فَعَلُوهُ ; وَلِهَذَا قَالُوا: الْأَمْرُ أُنُفٌ، أَيْ مُسْتَأْنَفٌ

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْمُنْكِرُونَ لِهَذَا انْقَرَضُوا، وَهُمُ الَّذِينَ كَفَّرَهُمْ عَلَيْهِ الْإِمَامُ مَالِكٌ، وَالْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ رضي الله عنهم، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ الشَّافِعِيُّ: إِنْ سَلَّمَ الْقَدَرِيَّةُ الْعِلْمَ خُصِمُوا.

من فوائد تفسير الآية:

١- قدّر الله الأقدار قبل أن يخلق الخلق
٢- كل شيء واقع في الدنيا من المصائب والبلايا هو بقدر الله تعالى
٣- كل ما يصيب العبد سواء في متاعه وطعامه من النقص أو في نفسه من الأمراض فهو بقدر الله.
٤- علم الله السابق للأشياء قبل وقوعها.
٥- الرد على القدرية نفاة العلم الذين يقولون: لاقدر والأمر أُنُف.
٦- لله الحكمة البالغة فيما قضاه لعباده ﴿ لايُسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴾
٧- إذا علم العبد أن كل شيء بقدر الله فإنه يصبر على الأقدار المؤلمة.
٨- شكر الله تعالى على النعم، سواء ما وهبه للعبد من المنافع أو ما دفعه عنه من المضار.
٩- لا يخرج شيء عن مشيئة الله، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره.
١٠- جهود العلماء في محاربة العقائد المخالفة ووقوفهم وقفة حازمة ضد من يريد تشويه عقيدة أهل الإسلام.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynootnanetUAE

تيسير الوقفات مع آية من الآيات ٢٨

الآية الثامنة و العشرين

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]

سياق الآية: أنّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ كَانَ عَذَرَ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْهِجْرَةِ بِتَرْكِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ عَفَا عَمَّنْ لَا يَسْتَطِيعُ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدِي سَبِيلًا بِالْإِقَامَةِ فِي دَارِ الشِّرْكِ، ولذلك جاء قبل الآية التي معنا قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فَكَذَلِكَ يكون مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ فِي الْهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الشِّرْكِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ أَنْ تَتْرُكُوهَا.

قوله تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ احذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه، وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، والعمل بما يقرّب إليه ما أطقتم وبلَغه وسعكم.

وقيل: هذه رخصة من الله، والله رحيم بعباده، وكان الله جلّ ثناؤه أنزل قبل ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وحقّ تقاته أن يُطاع فلا يعصى، ثم خفّف الله تعالى ذكره عن عباده، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾. ومعنى ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ بِمَعْنَى وَأَنْتُمْ لِلْهِجْرَةِ مُسْتَطِيعِينَ. بِفِتْنَةِ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ.

وقيل بل المعنى جُهْدَكُمْ وَطَاقَتَكُمْ. وهو أشمل من السابق، وعليه عموم الآية. ولما جاء في الحديث «إذا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَائْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ». تحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبد

قوله تعالى ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ أَيْ: كُونُوا مُنْقَادِينَ لِمَا يَأْمُرُكُمُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَلَا تَحِيدُوا عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، وَلَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَتَخَلَّفُوا عَمَّا بِهِ أُمِرْتُمْ، وَلَا تَرْكَبُوا مَا عَنْهُ زُجِرتم.

قوله تعالى ﴿وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ أَيْ: وَابْذُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَذَوِي الحَاجات، وَأَحْسِنُوا إِلَى خَلْقِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ لَا تَفْعَلُوا يَكُنْ شَرًّا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قوله تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ وذلك أن ثَمَّ آفة تمنع كثيرًا من الناس، من النفقة المأمور بها، وهو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس، فإنها تشح بالمال، وتحب وجوده، وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة.

قوله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فمن وقاه الله شر شح نفسه فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ؛ لأنهم أدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب.

مسألة: الأمر بالنفقة والنهي عن البخل شامل لكل ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قِبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة.

وإن كانت نفسه نفسًا سمحة، مطمئنة، منشرحة لشرع الله، طالبة لمرضاة، فإنها ليس بينها وبين فعل ما كلفت به إلا العلم به، ووصول معرفته إليها، والبصيرة بأنه مُرضٍ لله تعالى، وبذلك تفلح وتنجح وتفوز كل الفوز.

من فوائد تفسير الآية:

١- الأمر بتقوى الله تعالى والتي هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه.
٢- تقييد الأوامر بالاستطاعة وهذا كثير في القرآن.
٣- لم تقيّد النواهي بالاستطاعة لأن الترك امتناع والكل يقدر عليه، ولذلك في الحديث «وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»
٤- يعفى عن البعد الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به.
٥- وجوب الانقياد لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وعد الحيدة في ذلك.
٦- عدم التقدّم بين يدي الله ورسوله.
٧- الأمر بالبذل على الأقارب والمساكين وعموم المحتاجين، وأن خير ذلك متحقق في الدنيا والآخرة.
٨- ذم ما جبلت عليه كثير من النفوس من حب المال والشح به عن الإنفاق وأداء ما افترضه الله فيه.
٩- من وقاه الله شر شح نفسه وبخله عليها فقد أفلح لأنه أدرك المطلوب.
١٠- الأمر بالنفقة والنهي عن البخل شامل لكل ما أمر به العبد، ونهي عنه.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoothanetUAE

الآية التاسعة و العشرون

قال تعالى ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]

سياق الآية: جاءت الآية متصلة بسياق أول السورة وهو قوله تعالى ﴿سأل سائل﴾ والمعنى أنه سؤال استهزاء، فأُمر ﷺ بالصبر على ذلك.

أو أنه سأل سائل بمعنى دعا داع.

قوله تعالى ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الْمَكْرُوهِ. وَعَقْلُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى.

والمراد بالآية: اصبر على دعوتك لقومك صبرا جميلا لا تضجر فيه ولا ملل، بل استمر على أمر الله، وادع عباده إلى توحيده، ولا يمنعك عنهم ما ترى من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم، فإن في الصبر على ذلك خيرا كثيرا.

فالصبر الجميل: صبر لَا جزع فِيهِ وَلَا شكوى.

وقيل هذا الأمر بالصبر على المشركين قبل أَنْ يُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ. لكن هذا القول لا وجه له، لأنه لا دلالة على صحته، وليس في أمر الله نبيه ﷺ في الصبر الجميل على أذى المشركين ما يوجب أن يكون ذلك أمرا منه له به في بعض الأحوال؛ بل كان ذلك أمرا من الله له به في كل الأحوال.

والله أمر نبيه بالهجر الْجَمِيل، والصفح الْجَمِيل، وَالصَّبْر الْجَمِيل، فالهجر الْجَمِيل: هجر بِلَا أَذَى، والصفح الْجَمِيل: صفح بِلَا عتاب، وَالصَّبْر الْجَمِيل صَبر بِلَا شكوى.

مسألة: الشكوى إِلَى الْخَالِق فَلَا تنَافِي الصَّبْر الْجَمِيل فَإِن يَعْقُوب قَالَ ﴿فَصَبر جميل﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بثي وحزني إِلَى الله﴾.

وَكَانَ عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ يقْرَأ فِي الْفجْر بِسُورَة يُونُس ويوسف والنحل فَمر بِهَذِهِ الْآيَة فِي قِرَاءَته فَبكى حَتَّى سمع نَشِيجه من آخر الصُّفُوف.

وقد امتثل النبي ﷺ أمر ربه له في قوله ﴿فاصبر صبرا جميلا﴾ فقال ﷺ: «اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي».

فائدة: قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ولا يمكن للعبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن به ويتنعّم به ويغتذي به، وهو اليقين".

من فوائد تفسير الآية:

١- عناية الله بنبيه ﷺ وتربيته له

٢- أهمية الصبر في الدعوة إلى الله تعالى.

٣- الاستمرار في الدعوة إلى الله وعدم إلى الانقياد إلى رغبات المخالفين.

٤- الصبر الجميل ما لا جزع فيه.

٥- الصبر الجميل لا ينافي الشكوى لله، بل الشكوى لله أمر مطلوب وهو فعل الأنبياء.

٦- الأمر بالصبر يكون في جميع الأحوال والمواقف.

٧- أمر الله نبيه بثلاث أوامر كلها وصفها بالجمال وهي: الصبر والصفح والهجر.

٨- لا بد من اليقين والعلم فذلك أكبر العون على الصبر.

٩- الصبر المأمور به شرعا، هو الصبر بأنواعه الثلاثة: الصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الأقدار المؤلمة.

١٠- إذا كان الأمر للنبي ﷺ بالصبر، فأمته داخلة في هذا الخطاب.

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynootnanetUAE @Baynoonanet

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net